تاريخ الخليج
والجزيرة العربية القديم

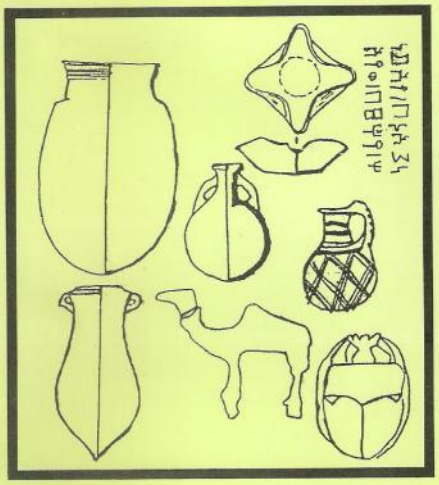

تأليف
د. علاء الدين عبدالمحسن شاهين
كلية الآداب - قسم التاريخ
جامعة الكويت

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم
تأليف - د. علاء الدين شاهين
ذات السلاسل

فهرس المحتويات

الصفحة

تمهيد..... ٥

فهرس المحتويات..... ٩

الفصل الأول: الخليج وشبه الجزيرة العربية: ملامح طبوغرافية ١١

الفصل الثاني: الإطار الحضاري لعصور ما قبل التاريخ ٢٩

الفصل الثالث: مصادر البحث عن تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم ٤٣

الفصل الرابع: الملامح الحضارية لدولة الكويت ٥٩

الفصل الخامس: مدخل إلى آثار دولة قطر ١٠٣

الفصل السادس: حضارات دولة البحرين ١١٧

الفصل السابع: دولة الإمارات العربية المتحدة وآثارها ١٥١

الفصل الثامن: مدخل إلى حضارات سلطنة عمان ولمحة مبتسرة ١٧٣

الفصل التاسع: حضارات اليمن السعيد ١٩١

الفصل العاشر: الإطار الحضاري للمملكة العربية السعودية ٢٥٥

قائمة الخرائط الواردة في الكتاب ٣١٧

قائمة الأشكال الواردة في الكتاب ٣١٩

قائمة مختارة بالمراجع: ٣٢٥

فهرس المفردات: ٣٤٥

الفصل الأول

الخليج وشبه الجزيرة العربية: ملامح طبوغرافية

الفصل الأول
الخليج وشبه الجزيرة العربية: ملامح طبوغرافية

تمهيد (مدخل) إلى الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية:

يعتبر الخليج العربي البالغ طول ساحله الغربي من مضيق هرمز إلى رأسه عند مصب شط العرب في العراق (حوالي ٨٠٠ كيلومتر) من أهم المناطق في العالم القديم التي كانت تمر بها الطرق التجارية القديمة، ويعتبر همزة الوصل بين المراكز الحضارية في وادي السند، بلاد الرافدين،وحوض البحر المتوسط (انظر خريطة ١).

وقد ورد ذكر لثلاثة مناطق جغرافية في أسفل الخليج في المصادر النصية العراقية، وهي مملكة دلون وماكان (ماجان) وملوخا، والتي ذهب الباحثون إلى مطابقتها على البحرين وعمان أو سهل مكران الإيراني والسند على التوالي. كما ورد ذكر الخليج العربي في كتب المؤرخين الذين كتبوا عن حياة الإسكندر الأكبر أمثال المؤرخ "أريان" Flavius Arrianus والذي أشار إلى إرسال الإسكندر الأكبر قبل وفاته عام ٣٢٣ ق.م لبعوث صغيرة إلى الخليج العربي لاستكشاف سواحله وجزره[1] (انظر خريطة ١).

وقد أوضح "أريان" أن أهم أسباب حملات "الإسكندر" تكمن في رغبته في اكتساب أرض جديدة تعتبر أهم مصدر للمُر والصبر والقرفة، وأن فيها الموانئ الكثيرة الصالحة لرسو أسطوله، والمواقع الصالحة لإنشاء المدن بالقرب منها، وأنه سمع أن بالبحر بعد مصب الفرات جزيرتين إحداهما تبعد عن مصبه نحو ٢٢ كيلومترا، وهي الصغرى، وكان فيها معبد للإله أرتيمس ومزارع للأغنام والغزلان المقدسة تدعى "إيكاروس" (جزيرة فيلكا

الحالية)، والجزيرة الكبرى التي تبعد مسيرة يوم وليلة بالمركب إذا كانت الريح مواتية، وأن اسمها تيلوس (البحرين حاليًا)[٢].

وخلال العصر السليوقي لم يكن لهم سيطرة كاملة على الخليج العربي، ولم يفرضوا هيمنتهم على التجارة به لضعف حكومتهم بالعراق، وتمكن الفرس في مرحلة تالية من القضاء عليها. وقد ورث الرومان السلطة على المكان. ومن اللافت للنظر أنه في عهد الرومان قلّت أهمية الخليج العربي بعد أن تحولت عنه الطرق التجارية إلى البحر الأحمر نتيجة للصراع العسكري السليوقي ثم الدولة الرومانية مع الفرس. ولكن عادت أهميته ثانية مع ظهور فجر الإسلام ونجاح طلائع جيوش الفتح العربي في تقويض صرح كل من الإمبراطورية الرومانية والفارسية، وما تبع ذلك من استتباب الأمن والسلام، ومن ثم عودة الحركة التجارية إلى الخليج العربي[٣].

وقد تهيأت للخليج العربي جملة أسباب طبيعية وجغرافية ميزّته عن البحر الأحمر من بينها: هدوء مياهه النسبي مما كان له دورٌ فاعل في تشجيع وسائل النقل البحرية القديمة على الحركة اليسيرة في مياهه، بالإضافة إلى ضحالة مياهه وخاصة على سواحله الغربية ودور ذلك في تشجيع السفر بالمساحلة. كما كان لتبدل حركة الرياح وكثرة التعاريج والخلجان الطبيعية على طول ساحله الغربي وتوفر المياه العذبة في بعض مواقعه خاصة فيلكا، تاروت، البحرين، وجزيرة أم النار، دور إيجابي على نشأة العديد من المراكز الحضارية بالمكان[٤].

أما الساحل الشرقي فيلاحظ وجود سهل ساحلي ضيق يضم القليل من الممرات الطبيعية داخل الأرض، وذلك بسبب العديد من سلاسل جبال زاجروس المرتفعة والتي تأخذ لها مسارًا موازيًا للساحل. كما أنه يتصف بقلة

المراسي الطبيعية المحمية، وبعدم وجود الآبار والمياه العذبة مما زاد من عرقلة الملاحة في تلك الفترة الزمنية المبكرة[٥].

وكان الخليج العربي يمثل منفذًا هامًا لبلاد النهرين يطل من خلاله على العالم القديم، وهمزة وصل واتصال لها مع المراكز الحضارية والتجارية في الخليج العربي ذاته أو من خلاله إلى حضارات السند. وأكدت النصوص السومرية مدى أهمية المكان وارتباطه بالحضارة العراقية القديمة منذ الألف الثالث ق.م. وخلال الألف الأول ق.م نشأت "مملكة البحر" التي سيطرت على منطقة تمتد من قرب مصب الفرات إلى دلمون، ولعبت دورًا هامًا، وعكست النصوص العراقية القديمة مدى تداخلها في الأحداث السياسية خلال فترة سنخريب بصفة أساسية (٧٠٥-٦٨١ ق.م).

وقد عرف أهل الخليج القدامى بمهاراتهم الملاحية ونشاطهم التجاري، وتعكس النصوص السومرية العديد من الإشارات إليهم وإلى بعض المواقع الجغرافية التي كانت حضارة بلاد الرافدين على اتصال بها خاصة موقعي دلمون (البحرين غالبًا) وماجان (عُمان على أكثر الآراء ترجيحًا أو سهل مكران الإيراني)، وكان لتوافر بعض المواد الأولية كالنحاس والأحجار واللؤلؤ وبيض النعام دافعًا إلى بدء عملية التبادل التجاري لأهل المكان والحضارات المجاورة. كما قدمت عبره، ولعب أهله دورًا هامًا كوسيط تجاري، في التعامل التجاري في بعض الموارد الخام الهامة والمرغوب فيها من حضارات العراق القديم خاصة "الأخشاب الجيدة من السند"[٦]. (انظر خريطة ٢).

وقد حفظت لنا النصوص العراقية القديمة أيضًا بعض التسميات التي أُطلقت على الخليج العربي قديمًا وارتبطت به من بينها "البحر الذي تشرق

وفيما يتعلق بالبحر الأحمر الذي أصبح منذ مطلع القرن الميلادي الأول المنافس الشديد لحركة الملاحة في الخليج العربي فإننا نعلم بوجود العديد من العوامل السلبية التي أثرت على استعماله كشريان رئيسي للنقل والمواصلات في فترة سابقة على ذلك، من بينها كثرة صخوره المرجانية على ساحله الشرقي الموازي لشبه الجزيرة العربية، وضيق السهل الساحلي بين جبال تهامة والبحر الأحمر تكاد تلامس فيه صخور الجبال مياه البحر، مما كان له دور سلبي في عدم السكنى بالمكان، وبالمثل الدور السلبي الناجم على بطء تحول حركة الرياح في البحر الأحمر، والتي تستغرق ما بين أربعة إلى ستة أشهر، ومدى تأثير ذلك السلبي على حركة اندفاع السفن شمالاً وجنوبًا خلاله[١٧]. ولعب نظام هبوب الرياح دورًا في أن تكون الملاحة من الشمال إلى الجنوب في فصل الصيف، ومن الجنوب إلى الشمال في فصل الشتاء[١٨].

وإذا كانت لتلك الظروف الطبوغرافية لساحل البحر الأحمر الشرقي دورٌ سلبي في نشأة العديد من الموانئ به أو استخدامه من فترة مبكرة من أهل الجزيرة العربية كطريق ملاحي، إلا أن الوضع كان مختلفًا على ساحله الغربي الأفريقي حيث دلت النصوص والآثار المتخلفة عن الحضارة الفرعونية قدم استخدامه كطريق للمواصلات، وعن وجود العديد من الدلائل على استخدامه من التجار المصريين منذ أوائل العصور التاريخية لمصر الفرعونية في الألف الثالث قبل الميلاد. وقد حفظت لنا الوثائق النصية المدوَّنة على صخور موقعي مغارة وسرابيط الخادم في شبه جزيرة سيناء عن وصول أفراد البعثات المصرية للتعدين عن معدن النحاس أو لاستخراج الفيروز من المكان بواسطة البحر وعن رسوهم في ميناء في الموقع المعروف حاليًا باسم "سهل المرخا"[١٩].

كما نعلم عن وجود ميناء على ساحل البحر الأحمر الأفريقي ورد ذكر له في النصوص المصرية باسم "ساوو" اتخذته السفن المصرية خلال الدولة الوسطى (٢١٣٣-١٧٨٦ ق.م) نقطة بدء لبعثاتها التجارية إلى بلاد بونت (الصومال وإريتريا، أو في أقصى الشمال الشرقي لجمهورية السودان الحالية)، تم الكشف عن بقاياه الأثرية بالفعل عام ١٩٧٦م على يد فريق علمي من كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، وذلك عند مدخل وادي جواسيس في مكان ليس بالبعيد عن ميناء القصير الحالي بحوالي ٥٨ كم، أو جنوب مدينة سفاجا بحوالي ٢٢كم[٢٠].

وتدل البعثات المصرية المتعددة إلا بلاد بونت عن اتخاذ البحر الأحمر طريقًا أساسيًا لها للوصول بسفنها إلى المكان، ولعل أكثرها شهرة تلك البعثة التجارية التي حفظت نصوصها ومناظرها على جدران المعبد الجنائزي للملكة المصرية الشهيرة حاتشبسوت، إحدى ملكات الأسرة الثامنة عشر المصرية (١٥٠٣-١٤٨٢ ق.م)[٢١].

كما تجدر الإشارة أيضًا إلى أن هناك العديد من الدلائل الأثرية والنصية على أقدم محاولة لإيصال البحر الأحمر والمتوسط عبر قناة عُرفت اصطلاحًا باسم "قناة سيزوستريس" والتي رجح أن من أمر بحفرها وأكملها هو الملك المصري "نكاو"، والإمبراطور الفارسي "دارا" خلال فترة الحكم الفارسي على مصر (٦١٠-٥٩٥ ق.م)، وذلك من خلال قناة تمر عبر منخفض وادي الطميلات في محافظة الشرقية الحالية (في أقصى شرق دلتا وادي النيل)، ثم عبر أحد فروع نهر النيل[٢٢] ومن ثم في اتصال مع البحر الأحمر.

وكان للبطالمة نشاط كبير في تجارة البحر الأحمر حيث شجع ملوكهم تلك التجارة وأسسوا العديد من المراكز التجارية على طول ساحله

الغربي خاصة ما قام به بطليموس فيلادلفوس من تأسيس لميناء "ميوس هرموس" (أبو شعر القبلي) عام ٢٧٤ ق.م، عند خليج سفاجا وميناء "برينيس" عند رأس بنياس عام ٢٧٥ ق.م، وبالمثل ميناء "أرسينوي كليوباتريس" (أبو شعر البحري الحالية)، إضافة إلى إصلاحه لموانئ: "ليكوس ليمون" (الميناء الأبيض) (القصير الحالي)، وميناء "فيلوتيرا" عند مدخل خليج القلزم (السويس) [٢٣].

وورث الرومان عن البطالمة سياسة الاتجاه إلى البحر الأحمر وزادوا في تطلعاتهم رغبةً في الوصول إلى الهند، وكان هدفهم الحصول على منتجات آسيا الجنوبية الشرقية بسفنهم الخاصة[٢٤]. وتشير نصوص الكتاب المعروف باسم "الطواف حول البحر الأريتري The Periplus of the Erytrean Sea" إلى دور الرومان في تأسيس العديد من القواعد البحرية لهم، خاصة في عدن وفي جزيرة سوقطرة[٢٥].

وكان لاكتشاف "هيبالوس" أهمية الرياح الجنوبية الغربية ودورها في حركة دفع السفن عبر المحيط مباشرة إلى موانئ الهند، وهي تلك الرياح التي عرفت باسمه دور هام في تنشيط حركة التجارة، بين الشرق والغرب، وأهمية موانئ جنوب غرب شبه الجزيرة العربية خاصة ميناء قنا Cana الشهير[٢٦].

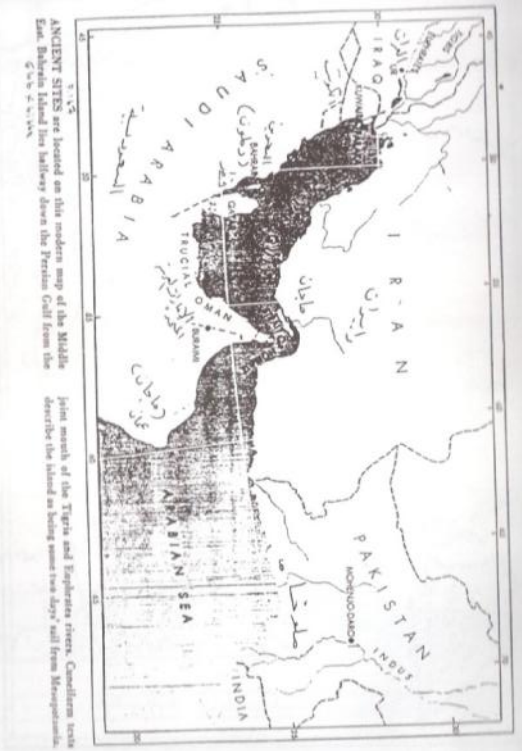

خريطة (١)

الخليج العربي

(Glob and Bibby, "A forgotten Civilization", p. 167.

خريطة (٢)

(الموارد التجارية، وأهم خطوط التجارة المرتبطة بها)

نقلاً عن سليمان البدر، منطقة الخليج، الكويت: ١٩٨٧، خريطة ١.

مناطق لم تُغمر بالمياه خلال العصر الكامبري (Arabian Shield)

مناطق مغمورة أحيانًا بالمياه (Arabian Shelf)

مناطق غمرها البحر دومًا

أ) الجزيرة العربية خلال العصر الكامبري

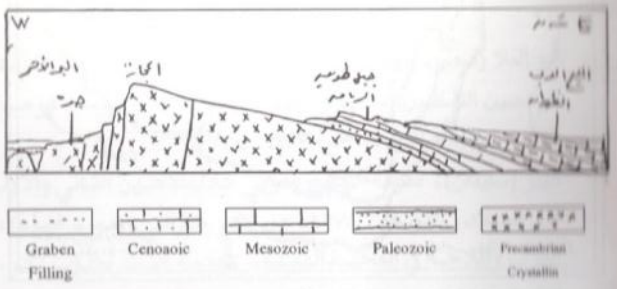

ب) مقطع جيولوجي في شبه الجزيرة العربية

خريطة (٣)

ملامح جيولوجية شبه الجزيرة العربية

خريطة (٤)

الجزيرة العربية. مواقع وتقسيمات جغرافية

هوامش الفصل الأول

١- **تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا**، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٣، ص ٦.

٢- الصباح (ميمونة) "الجذور الحضارية في الكويت في التاريخ القديم" **الخليج العربي، دراسات تاريخية وجغرافية منذ أقدم العصور حتى الوقت الراهن**، دمشق: ١٩٩٣، ص ٣٤.

٣- تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا، ص ٧.

٤- الهاشمي (رضا جواد)، **المدخل لآثار الخليج العربي**: منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (٣٦)، بغداد: ١٩٨٠، ص ٨-٩؛ البدر (سليمان سعدون)، "الصلات الاقتصادية والسياسية لمنطقة الخليج العربي في أواخر الألف الثالث ق.م." **مجلة كلية الآداب والتربية**، جامعة الكويت، العدد التاسع (يونية ١٩٧٦)، ص ٢٩.

أبو العلا (محمود طه)، **الخليج في مواجهة التحديات**، محاضرات الموسمين الثقافيين السابع والثامن ١٩٧٤-١٩٧٥، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، ص ٦٣٧.

٥- البدر (سليمان)، **منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد**، الكويت: ١٩٧٨، ص ٣٣؛ حوراني (جورج فضلو)، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة: ١٩٥٨، ص ٣٧-٣٨.

٦- البدر، **المرجع السابق**، ص ٣٣؛ القناعي (نجاة عبدالقادر) وبدر الدين الخصوصي، **تاريخ صناعة السفن في الكويت وأنشطتها**

١٩٨٧، ص

الفصل الثاني
الإطار الحضاري لعصور ما قبل التاريخ

الفصل الثاني
الإطار الحضاري لعصور ما قبل التاريخ

درج الباحثون على تقسيم الفترات الزمنية لحضارات الإنسان إلى فترتين أساسيتين، مرحلة عصور ما قبل التاريخ (Pre-history) ثم مرحلة العصور التاريخية، والتي اتخذوا نقطة البدء لها توصّل الإنسان إلى التعبير عن نفسه بالكتابة والتدوين مثلما هو الحال في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل، حوالي بدء الألف الثالث ق.م.

وانقسمت مرحلة عصور ما قبل التاريخ إلى تقسيمات أخرى رئيسية مختلفة، فيما عُرف باسم العصر الباليوليثي (العصر الحجري القديم)، بدءًا مما يزيد على أكثر من نصف مليون سنة قبل الميلاد إلى حوالي الألف العاشر ق.م، والذي انقسم بدوره إلى أقسام فرعية أخرى بأدوار ثلاثة: العصر الحجري القديم في دوره الأسفل، ثم الأوسط والأعلى. ويلي ذلك مرحلة العصر الميزوليثي (الحجري الوسيط) من الألف العاشر قبل الميلاد إلى حوالي الألف السادس ق.م، وتشغل فترة العصر النيوليثي (الحجري الحديث) الألف السادس ق. م. إلى منتصف الألف الخامس ق.م، وأخيرًا مرحلة العصر الخالكوليثي (الحجري – النحاسي) من منتصف الألف الخامس قبل الميلاد إلى بدء العصور التاريخية لحضارات وادي النيل، والرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد.

العصر الباليوليثي (الحجري القديم)

لعل من أهم ملامح حضارة العصر الباليوليثي (الحجري القديم)، الذي يشغل الفترة الزمنية ما بين أكثر من نصف المليون سنة ق.م. إلى حوالي ١٠,٠٠٠ آلاف سنة ق.م.، المناخ المطير Wet Phase وما ترتب عليه من نشوء غابات كثيفة ومستنقعات مائية ضخمة سهّلت للإنسان أن يلتقط طعامه، فيما عرف اصطلاحًا بمرحلة "جمع الطعام" Food-collection، وما ارتبط بذلك من عملية القنص للحيوان. كما ارتبط بتلك الفترة لجوء الإنسان إلى السكنى داخل الكهوف والمغارات مما أتاح له الوقت للرسم وللتعبير عن أفكاره، ومشاهداته اليومية فيما عُرف باسم الفنون الصخرية والتي انقسمت بصفة رئيسية إلى نمطين أساسيين رسوم بالتلوين Painting أو بالنقر والحفر على الصخور Curving والتي تعددت موضوعاتها الفنية، وانعكست بصفة رئيسية فيما عُرف باسم طبعات أكف الأيدي والأقدام ومناظر صيد الحيوانات[١]. (انظر خريطة ٥، شكل ١-٢).

وذهبت آراء عدة في تفسير مضمون تلك الرسوم لطبقات أكف الأيدي إما دلالة على درء الخطر والحسد، والتي مازالت انعكاساتها متداولة إلى الآن في الفولكلور العربي فيما يعرف اصطلاحًا باسم "خمسة وخميسة"، أو كنوع من التعبّد والعقيدة في ارتباط مع طبع أكف الأيدي المغموسة في دماء الأضاحي على واجهات الكهوف الصخرية والتي مازلنا نجد صدى لتلك العادة إلى الآن فيما نعرفه من عادات ترتبط بعودة الحجاج المسلمين من الديار المقدسة وقيامهم بغمس أكف أياديهم في دماء الأضاحي المقدمة شكرًا لله على وصولهم بالسلامة وعودتهم للوطن وطبعها على جانبي باب منزلهم، أو في تفسير حديث كوسيلة من وسائل التعبير اللغوي والتخاطب بلغة الإشارة[٢].

وكان من أهم ما توصل إليه إنسان ذلك العصر من أدوات هو ما عرف باسم "الفأس اليدوية" Hand- Axe من الظران (الأدوات الصوانية) بشكل كمثرى ذي نهاية مدببة، استعملت في أغراض متعددة لشؤون حياته اليومية، إضافة إلى العديد من تلك الشظايا الصوانية التي شكلها على هيئة سكاكين ومكاشط وأزاميل.

وكشفت بعض الأبحاث الأثرية في بعض مواقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية عن آلات من الأدوات الصوانية ورءوس السهام الصوانية مثلما هو الحال في منطقة حضرموت والتي تتشابه أدواتها الصوانية مع مثيلاتها تلك من مناطق شرق أفريقيا[٣]. مما دفع "مِس كِيتون تومسون" إلى ترجيح هجرة بشرية لإنسان العصر الباليوليثي من القرن الأفريقي إلى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وفي تضاد مع ما يراه د. سليمان حزين[٤].

كما كشفت أعمال البعثة الأثرية اليمنية – السوفيتية المشتركة خلال الأعوام ٨٣-١٩٨٥ بمناطق حضرموت وجزيرة سوقطره، بالتعاون بين المركز اليمني للدراسات الأكاديمية وعلم الآثار والمتاحف ومعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية على العثور على أدوات حجرية بالمكان وأخرى تعود إلى العصر الحجري الحديث[٥].

وتعددت مواقع الرسوم الصخرية في شبه الجزيرة العربية وحضارات الخليج العربي القديم بموضوعاتها المتعددة، خاصة رسوم طبقات أكف الأيدي، وطبقات الأقدام، صيد الحيوانات، وموضوعات معينة أخرى في المملكة العربية السعودية، خاصة موقع: كلوه، واليمن، وجبال سلطنة عمان، وفي الإمارات العربية المتحدة، ومنطقتي الجميل، وفريحة بصفة

خاصة في قطر مما سوف نعود إليه بالتفصيل في مرحلة تالية[٦]. (انظر خريطة ٥).

وخلال **العصر الميزوليثي (الحجري الوسيط)** ١٠,٠٠٠ سنة ق.م – ٦,٠٠٠ ق.م، بدأت الظروف المناخية في التغير نسبيًا حيث بدأت كمية الأمطار تقل، مما أتاح الفرصة لنمو الأعشاب والحشائش وسمح بالتالي لتعرف الإنسان على مهنة جديدة، ألا وهي "حرفة الرعي"، وما ترتب عليها من استئناسه للحيوان ليكون رصيدًا حيًا إلى جواره من الطعام وخاصة الماعز والأغنام، ويرجح مع ذلك أيضًا معرفته لاستئناس الكلب (موقع أريحا). وجرؤ الإنسان على سكنى حواف الجبال والهضاب بدلاً من البقاء داخل الكهوف والمغارات، وتطورت أدواته الحجرية لتصبح أكثر تقنية وأصغر حجمًا.

أما **مرحلة العصر النيوليثي (الحجري الحديث)**: ٦٠٠٠ سنة ق.م – ٤٥٠٠ ق.م، فقد شهدت تغيرًا دراميتكيًا في المناخ فيما عرف ببدء مرحلة العصر الجاف Dry Phase وما ترتب عليه من تغيّر تلك المساحات الضخمة الخضراء للغابات لتكون صحراء قاحلة جرداء مثلما نعرفه حاليًا في قطاع صحراء أفريقيا الكبرى، وامتدادها شرقًا عبر البحر الأحمر إلى صحراء شبه الجزيرة العربية، مما اضطر معه إنسان وحيوان ذلك الزمان إلى الهجرة بحثًا عن مصادر مياه دائمة كالأنهار مثلما هو الحال في نهر النيل، ونهري دجلة والفرات، أو مصادر مياه جوفية (غير دائمة) من آبار وعيون، وما يترتب عليها أحيانًا من وجود بعض المجتمعات السكنية المستقرة مؤقتًا طالما ظلت موارد الحياة كافية فيما يعرف اصطلاحًا بالواحات.

وترتب على هجرة الإنسان واستقراره من بعد حول مصادر المياه إلى أن يقوم بإنتاج طعامه فيما عُرف اصطلاحًا بمرحلة إنتاج الطعام Food-production وبدء معرفة الإنسان لفنون حرفة الزراعة، وما ترتب على ذلك من تشييد لمسكنه في السهول المنبسطة من المواد البيئية المتوافرة من حوله من أعواد النباتات (البوص بصفة خاصة) أو من الطوب اللبن، وزاد على ذلك اكتشاف الإنسان لصناعة الأواني الفخارية، ليستخدمها في شئون حياته اليومية. كما ارتبط باستقرار الإنسان في مكان معين بذاته أن تم اكتشاف العديد من المدافن في ارتباط بتلك المجتمعات الزراعية في مناطق عدة في الشرق الأدنى القديم مما أتاح لنا الفرصة لدراسة تلك المجتمعات من خلال دفناتهم، ومحاولة استنباط بعض الأنماط الاجتماعية أو المفاهيم العقائدية الخاصة بإنسان ذلك الزمان، مثلما هو الحال في تلك المجتمعات الزراعية في جزيرة سوقطره بجنوب غرب الجزيرة العربية، أو في بعض مناطق الخليج العربي، وبصفة خاصة في البحرين، وبعض مناطق الساحل الشمالي الشرقي للمملكة العربية السعودية.

وارتبط بفترة **العصر الحجري النحاسي (الخالكوليثي)** (٤٥٠٠–٣٠٠٠ ق.م) اكتشاف الإنسان أو توصله بمحض الصدفة لمعدن النحاس وما ترتب على ذلك من استخداماته المتعددة المرتبطة بذلك المعدن من أدوات أو أسلحة للقتال.

ولقد تم اكتشاف العديد من المناجم القديمة في المملكة العربية السعودية الحاوية لمعدن النحاس[٧]. ومازالت مشكلة ترجيح استخدام وصهر النحاس من إنسان ذلك المكان – أن كان مازال بالمكان نظرًا لتغير الظروف المناخية – قائمة للآن بين العلماء المتخصصين. في حين يرجح وجود بقايا التجمعات البشرية المحتملة في بعض مناطق سلطنة عمان لاستخراج وصهر

النحاس خلال تلك الفترة، أو أنها كانت مواقع مؤقتة موسمية لعمالة قادمة للمكان للحصول على هذا المعدن المرغوب فيه من مركز حضارات بلاد الرافدين بدءًا من الألف الثالثة ق.م، مثلما عكسته النصوص السومرية لبعض ملوك تلك الفترة.

وشهدت أواخر تلك المرحلة من العصر الحجري النحاسي في حواف شمال غرب الجزيرة العربية بقايا لتجمعات بشرية على خطوط الاتصال الحضاري بين مصر وبلاد الشام والعراق القديم. وعكست الدلائل الأثرية المتبقية في النمط المعماري المعروف باسم "الدوائر الحجرية"، في مناطق الحجاز، جنوب فلسطين، وشبه جزيرة سيناء، إحتمالية تأثيرات حضارية متبادلة بين أهل تلك المناطق آنذاك[٨]. كما حفظت لنا بعض الآثار المصرية إحتمالية إتصالات وصلات بين سكان حواف شمال غرب شبه الجزيرة العربية ووادي النيل (مصر الفرعونية) آنذاك.

ومن اللافت للنظر أن معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي الغربية لا تقدم لنا مادة أثرية تمثل الفترة الزمنية التالية خلال الألف الثالث ق.م، والمعروفة اصطلاحًا باسم العصر البرونزي المبكر بأدواره الأربعة إلى بدء الألف الثاني ق.م.، وتمثل في معظمها فراغًا بشريًا وتاريخيًا لما يتعلق بحضارات شبه الجزيرة العربية ومعظم مناطق الخليج العربي القديم، وتثير جدلاً علميًا للآن بين الباحثين عن الأسباب والدوافع لمثل هذا الانقطاع الذي يبدو أن معظمه يعود إلى تلك المتغيرات المناخية بالمكان، وقلة الموارد المائية المتاحة لإعاشة الكثير من السكان بالمكان.

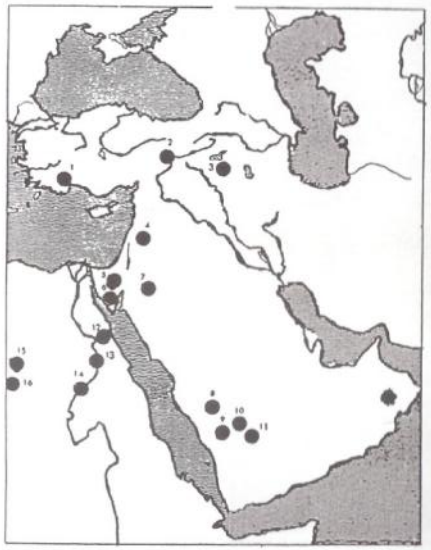

Principali concentrazioni di arte rupestre nel Medio Oriente.
Cartina di distribuzione: 1. Antalia, 2. Adi-Yaman, 3. Hakkari, 4. Deserto siriano, 5. Negev, 6. Sinai, 7. Kilwa, 8. Dahtharni, 9. Abha, 10. Wadi Kharaig, 11. Djebel Qara, 12. Luxor, 13. Aswan, 14. Wadi Haifa, 15. Gif Kebir, 16. Uweinat.

خريطة (٥)

مواقع النقوش الصخرية في الشرق الأدنى القديم

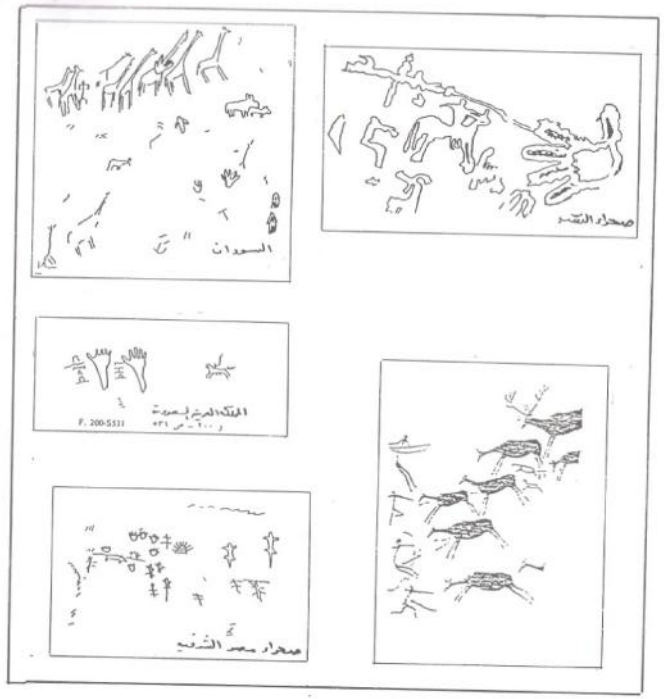

شكل (١)

مناطق متنوعة لفنون العصر الباليوليثي

(صيد حيوان، طبعات أكف الأيدي، أو الأقدام، ومناظر أخرى)

(After Shaheen, "Palm Painting motif", GM 130, pp. 79-107)

شكل (٢)

رسوم ملونة من أعمال الفنان البدائي المتقدم على جدران الكهوف

تمثل حيوان يشبه الحصان، ومجموعة من حيوان "الرن"، والثيران الوحشية

هوامش الفصل الثاني

١- Shaheen,A.M. "The Palm Painting Motif: An Interpretation of a Continuing Tradition", **Göttinger Miszellen**, 130 (1992), pp. 79-107.

٢- Shaheen, **op. cit.**, pp. 87-89.

٣- عصفور، **المرجع السابق**، ص ٢٤٠.

٤- فخري (أحمد)، **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٦٢، ص :١٢٣-١٢٤؛ عصفور، **المرجع السابق**، ص ٢٤٠.

٥- ريبنسكي (جربا)، "تاريخ حضرموت وحضارتها"، قضايا دراستها، والبحوث الأخيرة. **الجديد حول الشرق القديم**، بإشراف العضو المراسل في أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي، بونغارد - ليفين، ترجمة جابر أبي جابر وخير الضامن، دار التقدم العلمي بموسكو: ١٩٨٨، ص ٢١٨ - ٢٤٨.

٦- انظر الفصل الخامس: مدخل إلى آثار دولة قطر، الفصل السابع: دولة الإمارات العربية المتحدة وآثارها، الفصل الثامن: مدخل إلى حضارات سلطنة عمان، ولمحة مبتسرة، الفصل التاسع: حضارات اليمن السعيد، الفصل العاشر: الإطار الحضاري للمملكة العربية السعودية.

٧- اسكوبي (خالد محمد)، "أهم مواقع التعدين القديمة بمنطقة تبالة، جنوب غربي المملكة العربية السعودية"، **الفيصل**، العدد ١١٣ (أغسطس ١٩٨٦)، ص ١٠٠ - ١٠٧.

٨- عبدالمنعم (محمد)، **آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية**، ترجمة محمد خيبر، الرياض: ١٩٩٥، ص ٢٠٨، شكل ٣: ٦.

الفصل الثالث

مصادر البحث
عن تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم

الفصل الثالث

مصادر البحث عن تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم

نشأت مراكز حضارية عدة في جنوب غرب الجزيرة العربية وفي شمالها الغربي بصفة خاصة، وعلى طول ساحل الخليج العربي وساحل بحر العرب جذبت بقاياها الأثرية أنظار الباحثين. وأجريت في السنين الأخيرة عديد من الأعمال الكشفية والتنقيبات الأثرية للكشف عن أسرار تلك الحضارات. ولقد ساعدت المخلفات المادية من تلك الحضارات، إضافة إلى بعض الوثائق التاريخية المدونة بلغة مراكز الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين ووادي نهر النيل، عن إماطة اللثام قليلاً عن أمجاد شعوب شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي، ومدى إسهامهم بقسط ليس بالقليل من التراث الحضاري[1].

وتعتمد دراستنا لفهم تلك الحضارات في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية على مصدرين أساسيين: الآثار والنصوص (Archaeological and Archival data). وإذا كانت حضارات الخليج العربي شحيحة إن لم تكن معدومة المصدر فيما يتعلق بما حفظ عنها من نصوص، إن كانت هناك في الأصل لغة محلية لها، خاصة الساحل الغربي من الخليج العربي، فإن مراكز حضارات جنوب غرب الجزيرة العربية وسلطنة عمان (؟)، وشمال غرب الحجاز قدمت لنا بعض الدلائل على وجود نصوص لغوية لحضارات أهل المكان المحلية وإن كانت من فترة زمنية متأخرة نسبيًا خلال الألف الأول ق.م. ويمكن لنا تلخيص أهم مصادرنا لفهم حضارات الخليج والجزيرة العربية القديم في النقاط التالية:

١- الآثار المادية وما يرتبط بها من أعمال للكشف الأثري.

٢- النصوص المحلية.
٣- النصوص الأجنبية المعاصرة من حضارات وادي النيل وبلاد الرافدين.
٤- النصوص في المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية).
٥- المصادر النصية اللاهوتية.
٦- المصادر الإسلامية لبعض الرحالة والمؤرخون العرب والمسلمون وما حفظته لنا أحياناً بعض النصوص الشعرية من الأدب الجاهلي[٢].

ويراعى حال تناول هذا المصدر المرتبط بالآثار المادية ملاحظة درجة الحفظ الأثري، ومدى أثر المناخ من حرارة وأمطار وسيول في بقاء تلك المواقع الأثرية من حضارات المكان سواء بالخليج العربي أو شبه الجزيرة العربية، وبالمثل مدلول النظرة الدينية إلى تلك الآثار، واعتبارها وإلى فترة قريبة من الأشياء الغير مرغوب فيها، وفي ارتباط مع مفهوم "الأوثان". وأخيرًا يراعى كذلك حال تناول تلك المادة الأثرية بالمناقشة مراعاة إعادة الاستخدام المكثف أحياناً لتلك البقايا الأثرية في الأوقات الحديثة في جوانب الحياة المتعددة خاصة في العمران، وأثر ذلك السلبي على درجة الحفظ أو حتى البقاء لها.

وكان للمستشرقين في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي دور السبق في إرتياد السبل العلمية الصحيحة لمعرفة تاريخ العرب القديم خاصة في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (اليمن). وحفظت لنا المصادر النصية العديد من الدلائل على ما قام به العديد من هؤلاء وخاصة المستشرق الدانمركي "كريستنس فون هافن" الذي شارك في بعثة إلى بلاد اليمن عام ١٧٦١م، وأيضًا ما قام به "توماس أرنو" سنة ١٨٤٣م، ودوره في تدوين العديد من النقوش اليمنية، وكذلك "إدوارد جلازر" و "بركهارد"، والبعثة الأكاديمية للنقوش – الفنون الجميلة في باريس برئاسة "جوزيف هاليفي" عام ١٨٧٠ إلى مأرب وصرواح[٣].

وشهدت مناطق شمال الجزيرة العربية ووسطها اهتمامًا متزايدًا من العلماء والمستشرقين الأجانب خاصة في مناطق حضارات الأنباط (بترا) وشمال غرب الحجاز. كما شهدت مناطق الخليج العربي اهتمامًا متزايدًا بدءًا بمرحلة "النبّاشين أو النهّابين"، ثم محاولات أولية جادة بغرض البحث العلمي وتحقيق العائد المادي، إلى مرحلة هامة منذ منتصف الخمسينات من القرن الحالي مع أعمال بعثة متحف أرهوس الدانمركية، التي ألقت المزيد من الضوء، وأوضحت وجود العديد من الدلائل الأثرية الهامة لحضارات إنسان الخليج العربي منذ فجر التاريخ وما تلاه[٤] بصفة رئيسية.

ويذكر بالإشارة أيضًا تشكيل أول بعثة عربية مشتركة للعمل في البحرين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد إقرار تنفيذ مشروع بناء "الجسر الموصل بين جزيرة البحرين الأم وأرض المملكة العربية السعودية"[٥]. وكذلك ما ينسب إلى بعثة المسح الأثري للكويت "المشكّلة من وزارة الإعلام الكويتية برئاسة المرحوم الدكتور رشيد الناضوري عام ١٩٧٤".

كما تعددت أعمال البعثات الأجنبية والمحلية في مراكز حضارات الجزيرة العربية على سبيل المثال البعثة الأمريكية برئاسة وندل فيلبس ١٩٥٢، في منطقة صرواح ومأرب بصفة خاصة في اليمن، وبعثة متحف الجامعة بجامعة بنسلفانيا الأمريكية في منطقة الجوبه بدءًا من عام ١٩٨٣، وبعثة جامعة هارفارد الأمريكية إلى سلطنة عمان عام ١٩٧٣، وكذلك البعثة الأثرية اليمنية السوفيتية المشتركة خاصة في جزيرة سوقطره ومنطقة حضرموت. وكذلك ما قامت به بعثة الجامعة العربية برئاسة د. أحمد فخري، ومن قبلها بعثة الجامعة المصرية برئاسة د. سليمان حزّين إلى اليمن. ولعل من أهم النشاطات الأثرية العربية ما قامت به جمعية التاريخ والآثار ومن بعدها قسم التاريخ والآثار في جامعة الرياض بأعمال الحفر الأثري في

موقع قرية الفاو برئاسة د. عبدالرحمن الأنصاري، وما كشفت عنه من نتائج علمية باهرة أماطت اللثام عن الكثير من ملامح حضارات ما قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية.

ولعل أهم ما يوجه من نقد لأعمال تلك البعثات هو قلة النشر العلمي لما تم من حفائر بالمواقع المتعددة، أو للمسح الأثري بها، وثانيهما هو قلة تلك الأعمال الأثرية ذاتها، قياسًا إلى اتساع المساحات بالجزيرة العربية والخليج العربي القديم، وقلة الأماكن التي أجرى بها مسح أثري، أو حفائر فعلية على الإطلاق.

وفيما يتعلق بالمصادر النصية تواجه الباحث مشكلة المادة العلمية المكتوبة ذاتها، والتساؤل المطروح عن بداياتها؟ فيما يرتبط بحضارات الخليج العربي القديم بمواقعه المتعددة، وفي داخل الجزيرة العربية ذاتها: السعودية، واليمن.

ومن المعروف أن معظم الكتابات المدّونة تعود في تاريخها إلى حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، وما تلى: صفوية، ثمودية، لحيانية، ونبطية، مما اعتبره البعض البدايات المبكرة لما يعرف بالخط المسند كأصل مبكر محتمل للخط العربي المعروف حاليًا.

وفيما يتعلق بمناطق الخليج العربي، فلقد حاول البعض الجدال في إمكانية وجود شكل من أشكال الكتابة التصويرية المبكرة على ما يعرف باسم لأختام الدلونية المكتشفة بصفة رئيسية في البحرين والكويت، من حوالي الألف الثالث ق.م[٦]، وإن ذهب الرأي الحالي إلى أنه بفرض القول بهذا الرأي، فإن تلك العلامات التصويرية على تلك الأختام ليست إلا أشكالاً رديئة ومحوّرة للخط السندي وللكتابات المسمارية وكلاهما ليست بخط أصيل لحضارت المكان.

ولعل عدم الكشف إلى الآن عن أي دليل يؤكّد مثل هذا الطرح لوجود لغات محلية مدّونة لأهل المكان خلال الألفين الثالث والثاني ق.م – بفرض إستمرارية تواجد مجموعات بشرية مكثفة بالمكان – يزيد من صعوبة فهم الإطار الحضاري لأهل المكان. ويضطر الباحث إلى الاعتماد الأساسي لتفسير المادة الأثرية المكتشفة بالمكان – على قلتها، وعدم حفظها الأثري بدرجة جيدة، على ما يمكن استنباطه من دراساتها بالمقارنة مع آثار المناطق الحضارية المجاورة، خاصة بلاد السند، إيران، الرافدين بصفة أساسية، وبلاد الشام، ومصر الفرعونية بصفة جانبية.

كما جادل البعض في وجود شكل آخر للكتابات المبكرة بالجزيرة العربية استنادًا إلى تلك المخربشات على صخور جبال سلطنة عمان، وإن ذهب الرأي الحالي إلى عدم القبول بمثل هذا الرأي، وأنها بفرض تعبيرها عن شكل لغوي، فإنها تعود إلى فترة متأخرة نسبيًا من حوالي منتصف الألف الأول قبل الميلاد وما يليه.

ولعلّ من بين أهم ما يواجه الباحث في تاريخ حضارات اليمن الجنوبية هو عدم استخدام تلك الكتابات العربية الجنوبية (المعينية مثلاً)، لأي تقويم من التقاويم، فضلاً على أنها لم تقدم لنا الفترة الزمنية التي استغرقتها حكم هؤلاء الملوك، كأفراد أو جماعات، وغلبة الطابع الشخصي على تلك الكتابات مما جعل من الصعوبة الاتفاق بين العلماء على ترتيب قوائم ملوك تلك الأسر الحاكمة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، في عصور حضاراتها المتعددة، السبأية منها والمعينية .. إلخ، أو حتى مدد حكمهم[٧]. ويجدر بالإشارة القول بأن تلك الكتابات لم تستخدم تقويمًا ثابتًا لتأريخ الأحداث إلا في عام ١١٥ ق.م أو ١٠٩ ق.م. في عصر الحضارة الحميرية[٨].

إنه من اللافت للنظر أن المصادر النصية من الحضارة الفرعونية لم تتضمن على الإطلاق ذلك الاسم المألوف الذي عرفت به الجزيرة العربية تحت لفظ (ع ر ب) أو المقطع (أرب) إلا في فترة متأخرة نسبيًا خلال الألف الأول ق.م.[٩]، وإن لم يمنع ذلك من أن النصوص المصرية قد حفظت لنا إشارات عامة أخرى لبعض المسميات العامة لمجموعات بشرية كانت تقطن أو تتجول إلى الشرق من حدودها، أي إلى ما يلي حدود دلتا نهر النيل، ربما في ارتباط مع مناطق شبه الجزيرة العربية، من بين أهمها كلمة "إيابتت": (أرض) الشرق و "إيابتيو": الشرقيون، ربما في ارتباط مع سكان شبه جزيرة سيناء وما يليها إلى الشرق منها في جنوب الأردن وشمال غرب السعودية حاليًا. ولعل ما ورد في نص الملك دن "أوديمو" على لوحته الجنازية من إشارة إلى قيامه بقمع (ضرب) الشرق لأول مرة (من عهده) ما يدّعم ذلك المجهود المصري الدائم لتأمين حدودها الشرقية وعبر تاريخها القديم من تلك التحركات البشرية القادمة إلى داخل وادي النيل[١٠].

كما حفظت لنا النصوص المصرية إشارات لأسماء أخرى مثل العامو (الأسيوي) والحريوشع بمعنى (البدو) الذين على الرمال أو سكان الرمال، والمونيتو أو المونتوستت والأنتيو، خاصة ضمن ما حفظته لنا نصوص بعثات التعدين المصرية على صخور جبال مغارة وسرابيط الخادم في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة سيناء[١١].

ومن بين ما حفظته النصوص المصرية أيضًا لفظ "خبستيو" الذي ذهب البعض إلى الربط بينه وبين لفظ حبشة أو حبشات، إحدى القبائل العربية من جنوب غرب الجزيرة، غالبًا غرب اليمن قرب جبل حبش، عبرت البحر الأحمر واستقرت على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، ربما ما بين القرنين العاشر والسابع ق.م[١٢].

كما أشارت نصوص قوائم تحوتمس الثالث، أحد أشهر ملوك مصر الفرعونية من عصر الإمبراطورية والتوسع الحربي (الدولة الحديثة) والذي يُنسب إليه الفضل في تأسيس أول إمبراطورية مصرية ضخمة شملت شمال السودان (النوبة)، إلى ما يجاور الجندل الرابع على نهر النيل في موقع نباتا (جبل برقل) في القطاع الأفريقي وكل فلسطين ولبنان والأردن وجنوبي سوريا في القطاع الأسيوي، أشارت نصوصه إلى استقباله لهدايا من الصمغ العطري والبخور حملها وفد قدم من "الجنبتيو" Gnbtyw الذي ذهب أستاذنا د. عبدالعزيز صالح إلى مطابقتهم مع القتبانيين القاطنين جنوب غرب شبه الجزيرة العربية[١٣].

ولعل أهم ما ارتبط في فترة سابقة من دراسات عدة هو محاولة الربط بين موقع بونت Pwnt والجزيرة العربية خاصة في جزئها الجنوبي الغربي، اليمن، والاستنباط الخاطئ من أن هناك علاقات تجارية بالتالي بين مصر واليمن منذ بدايات العصور التاريخية للحضارة المصرية في منتصف الألف الثالث ق.م (العصر البرونزي المبكر)، مع ما في ذلك من تناقض عكسته إختفاء الدلائل الأثرية من تلك الفترة الزمنية من مناطق شمال غرب وجنوب غرب الجزيرة العربية (الساحل الشرقي الأسيوي للبحر الأحمر).

وتتفق الآراء الحالية إستنادًا على إعادة التفسير لمناظر ونصوص تلك الرحلة التجارية للملكة المصرية "حاتشبسوت" التي حفظت على جدران معبدها الجنائزي في الدير البحري بغرب الأقصر بصعيد مصر حاليًا، على تحديد بونت في الجانب الأفريقي بالإطلاق. ودعم ذلك أيضًا نصوص لغوية تشير إلى أن منابع نهر النيل في جبال بونت، وبالتالي يفترض أصلاً جغرافيًا أفريقيًا لها أكثر منه آسيوي. وذهبت الدراسات التالية لذلك على أن بونت

تقع في أقصى الشمال الشرقي لجمهورية السودان الحالية، وفي امتدادها الجنوبي إلى حدود جمهورية إريتريا الحالية.

ومن اللافت للنظر كذلك عدم تضمين النصوص المصرية أي إشارات محتملة لمجموعات بشرية كانت في اتصال ما معها أو قدمت إلى أرضها ضمن نطاق مراكز حضارات الخليج العربي بالإطلاق ولعل هذا في اتفاق أيضًا مع ندرة الآثار المصرية في مواقع الآثار المكتشفة إلى الآن بمناطق الخليج العربي فيما عدا بعض الجعارين (الجعل) (Scarabs) مقلدة للنمط المصري ربما على يد الفينيقيين، وبعض الأواني الزجاجية ذات الطابع السكندري ولكن من عصر هيليني تال للحضارة المصرية.

ولعل أهم ما ارتبط بمسميات محتملة لسكان ومناطق الجزيرة العربية وحواف الخليج العربي في مصادر بلاد الرافدين، هو ما أوردته النصوص السومرية من إشارة إلى أرض "مارتو" كإحدى المسميات لمنطقة جغرافية محتملة على حواف الشمال الغربي من الخليج العربي وإلى الداخل قليلاً فيما بين البحرين جنوبًا وإلى الشمال من البصرة[١٤].

كما وردت إشارة في نص سومري من أسرة أور الثالثة من النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، إلى لفظ (Sabum) (Sabu)، التي ذهب البعض إلى أنها سبأ الواردة في التوراة وخاصة "هومل" الذي يفترض بناء على ذلك أصولاً شمالية للحضارة السبأية هاجرت في مرحلة تالية إلى الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية (اليمن).

أما لفظة "عرب" فقد تتبع المستشرقون وعلماء الآثار المحدثون هذه الكلمة ومعناها في اللغات السامية – أقدم الإشارات إليها ورد من نص للملك شلمانصر الثالث الآشوري (٨٥٩–٨٢٤ ق.م)، واللافت للنظر أن لفظة "عرب" لم تكن تعني عند الأشوريين ما تعنيه عندنا من معنى، بل كانوا

يقصدون بها بداوة وإمارة "مشيخة" كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية. واختلف الرأي في كيفية النطق الصحيح لها حيث يمكن قراءتها Aribi، Arubu، Aribu، Arub، Arabi، Urbi، Arbi، وغيرها[١٥].

كما وردت في الكتابات البابلية جملة "ما توربي" Matu-A-Ra-bi والتي تعني ماتو "متو" = أرض: "أرض عربي" أو "أرض العرب"، أو بلاد العرب أو الأعراب بتعبير أصح ...[١٦]

وقد استخدمت بعض النصوص المصرية القديمة لفظ "أربايا" تحريفًا فيما يبدو عن "عربية" أو "العربية" للدلالة على المنطقة الغربية من حدودها المصرية في شبه الجزيرة العربية[١٧]. كما استخدمت النصوص الفارسية نفس اللفظ "أربايا" في القرن الخامس قبل الميلاد دلالة على بادية فلسطين وشبه جزيرة سيناء وما يتصل بهما من شمال شبه الجزيرة العربية[١٨].

وقدمت لنا كتابات العديد من المؤرخين والكتّاب الكلاسيكيين (اليونان والرومان) مصدرًا إضافيًا لفهم الأحداث التاريخية بالخليج والجزيرة القديم، خاصة ما ورد في كتابات هيرودوت (٤٨٠–٤٠٦ ق.م)، وديودور الصقلي، وتيوفراست (٣٧١–٢٨٧ ق.م)، والرحالة اليوناني سترابون (٦٤ ق.م – ١٩م)، الذي ينسب إليه الفضل في إعطاء المزيد من المعلومات عن حملة الوالي الروماني على مصر، إيليوس جالوس، ضد شبه الجزيرة العربية، وما صاحبها من فشل ذريع في نهايتها، وكذلك ما ارتبط بنشاط الإسكندر الأكبر في الخليج العربي ضمن مؤلفات المؤرخ "إريان"، نقلاً عن ارستوبولس[١٩].

وبالرغم مما ورد في تلك المصادر الكلاسيكية من أخطاء يصعب التغاضي عنها، إلا أنه يستفاد منها مما حوته من أخبار تاريخية،

ومعلومات جغرافية وأسماء عربية كثيرة لم تعرف إلا منها. وعكست بالمثل العديد من الدلائل على التواجد المبكر للوجود المسيحي بالمكان.

إضافة إلى ذلك فإن ما ورد من أحداث تاريخية وقصص مرتبطة بفترات معينة أو عصور أنبياء بعينهم وفي ارتباط مع الجزيرة العربية بصفة خاصة، قد يلقى لنا الضوء على تلك الفترات التاريخية المبكرة من تاريخ الجزيرة العربية القديم خاصة ما ورد في العهد القديم والقرآن الكريم.

ولقد حفظت بعض نصوص التوراة أقدم إشارات إلى العرب قصد بها تفسير العلاقات بين القبائل العربية خاصة على حواف منطقة فلسطين، وبين المملكة اليهودية وبالمثل ورد بها إشارات إلى مملكة سبأ وملكتها الشهيرة بلقيس، كما أن "التلمود" وهو المكمل للتوراة، وشارح لأسفارها قد وردت به إشارات عدة إلى العرب في مواضيع مختلفة. وبالمثل ما كتبه العبريون أنفسهم، ومن أهم كتابهم يوسف فلافيوس (٣٧–١٠٠م)، وخاصة كتاباته التي تناولت الصراع المرتبط بحروب اليهود ضد النفوذ الروماني، وما ارتبط بذلك من تصادم أو تصالح مع مملكة الأنباط السامية (العربية) الأصل[٢٠].

أما فيما يتعلق بالخليج العربي فيلاحظ ندرة – إن لم يكن اختفاء – أي إشارات لأحداث تاريخية مرتبطة بالمكان وأهله مع منطقة أرض الميعاد ونبي الله موسى عليه السلام، وكتابه المقدس، في تضاد مع ما ورد من أحداث بحضارات الجزيرة العربية وأهلها. وربما كان البعد الجغرافي دور هام وأساسي يمكن به تبرير هذا الاختفاء لحضارات الخليج من ارتباط مع الأحداث التاريخية الواردة بالتوراة اللهم إلا فيما ارتبط بإشارة إلى العفو الذي أعلنه "قورش" الفارسي عن اليهود، وسماحه لهم بالعودة من المنفى إلى أرض فلسطين بعد مرحلة السبي البابلي.

وفيما يتعلق بالقرآن الكريم ربما كانت تلك الإشارة الواردة في القرآن الكريم عن "العذب الفرات والملح الأجاج" يحتمل إطلاقها على منطقة "جزيرة البحرين" لتوافر مثل هذا الإبداع الوصفي على المكان. مع الأخذ في الاعتبار أن هناك دراسة حديثة لباحث أجنبي ألقيت في مؤتمر "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" أوضحت وجود ما يزيد عن ٤٠ موقعًا في العالم يوجد بها مثل تلك الظاهرة الفريدة.

كما قدمت لنا بعض المصادر المعروفة في العصر الإسلامي بعض المعلومات المرتبطة بأخبار العرب وأنسابهم وبالمثل بعض الأحداث التاريخية القريبة من فجر الإسلام، مما قد يزيد من الفهم لأحداث تلك الفترة من تاريخ الجزيرة العربية القديم[٢١]. وإن وجب علينا الأخذ بالحيطة والحذر في أن معظم تلك الأحداث منقولة شفهيًا، أو بمنطق العنعنة "نقلاً عن ..عن .." مما قد يؤثر في مدى مصداقية الخبر، وإن لم ينفه تمامًا.

كما اعتبر الشعر الجاهلي مصدرًا هامًا لمعرفة أحوال العرب في مرحلة ما قبل الإسلام، وتقاليدهم، وعاداتهم، وأنسابهم، وحروبهم، خاصة ضمن ما ورد من أشعار امرؤ القيس وعبيد بن الأبرص وطرفه بن العبد وعمرو بن كلثوم والنابغة الذبياني وعنترة بن شداد، وغيرهم[٢٢]. وبالمثل ما ورد من إشارات تاريخية ضمن كتب السيّر والمغازي التي تعرضت لأخبار الجاهلية قبيل الإسلام[٢٣].

هوامش الفصل الثالث

١- الهاشمي (رضا جواد)، "دراسة في مصادر تاريخ وآثار الخليج العربي في عصوره القديمة"، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، العدد ٢٨، السنة السابعة (أكتوبر ١٩٨١)، ص ١١٧-٢٧؛ عبدالعزيز صالح، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٨٨، ص ٨.

٢- على (جواد)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٧٦، ص ٤٣؛ العبيدي (عبدالجبار)، "منطقة القرين في العصور الإسلامية"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت، العدد ١٩، المجلد ٥ (صيف ١٩٨٥)، ص ١٢-١٣.

٣- برو، **المرجع السابق**، ص ١٣-١٥؛ عصفور، **المرجع السابق**، ص ٢٤٥-٤٧.

٤- صالح، **المرجع السابق**، ص ١٥-٢٠؛ صالح (عبدالعزيز) **الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية**، إصدار دراسات الخليج والجزيرة العربية ٤، الكويت: ١٩٨١، ص ٥ - ٩٣.

٥- إبراهيم (معاوية)، "أول بعثة أثرية عربية مشتركة في البحرين"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الثاني: **الجزيرة العربية قبل الإسلام**، الرياض: ١٩٨٤، ص ٢٥-٦٩.

٦- بوشهري (على أكبر)، **التاريخ القديم للبحرين والخليج العربي**، المكتبة الوطنية، البحرين: ١٩٨٧.

٧- مهران (محمد بيومي)، **دراسات في تاريخ العرب القديم**، الجزء الأول، الإسكندرية: ١٩٩٢، ص ٢٢٣.

٨- على، **المرجع السابق**، ص ٤٨.

٩- سيد (عبدالمنعم عبدالحليم)، "الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الأول: **مصادر تاريخ الجزيرة العربية**، الرياض: ١٩٧٥، ص ٣٩.

١٠- صالح (عبدالعزيز)، **الشرق الأدنى القديم**، الجزء الأول، **مصر والعراق**، القاهرة: ١٩٦٧، ص ٨٠.

١١- شاهين، شبه جزيرة سيناء: دراسة تاريخية وأثرية حتى نهاية الدولة الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة.

١٢- سيد، **المرجع السابق**، ص ٤٢؛ طرخان (إبراهيم على)، "الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة"، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد ٨ (١٩٥٩) ص ٥-٦، رياض (زاهر)، "دولة حبشية في اليمن"، **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد ٨ (١٩٥٩) ص ١٠١-١٠٢.

١٣- Saleh, A. "The Gnbtyw of Thotmosis III's Annals and the South Arabian GEB(B)ANITE of the Classical Writers", BIFAO 72, (1972), p. 252.

١٤- Zarins, J. "Mar-tu and the Land of Dilmun", **Bahrain through the Ages. The Archaeology**, Edited by Shaikha H. A. Khalifa and M. Rice, The Ministry of Information, Satat of Bahrain: 1986, pp. 233-50.

١٥- على، **المرجع السابق**، ص ١٦؛ صالح، **المرجع السابق**، ص ٥٩٠.

١٦- على، المرجع السابق، ص ١٧.

الفصل الرابع
الملامح الحضارية لدولة الكويت

الفصل الرابع
الملامح الحضارية لدولة الكويت

تقع دولة الكويت على الطرف الشمالى الغربى للخليج العربى بين خطى العرض ٢٨ و ٣٠ شمال خط الاستواء وخطى الطول ٤٦ و ٤٨ شرقى خط جرينتش. وتبلغ المساحة الاجمالية لدولة الكويت ١٧,٨٠٠كم^{٢} (كيلو متر مربع). وتبلغ المسافة بين أقصى موقع على الحد الشمالى والجنوبى ٢٠٠ كيلو متر بينما تبلغ المسافه بين أقصى موقع على الحد الشرقى والغربى للدوله ١٧٠ كم. ويتبع دولة الكويت تسع جزر حاليا أكبرها بوبيان، هى فيلكا، وربة، بوبيان، مسكان، عوهة، أم المرادم، أم النمل، كبر وقاروه أما الجزيرة العاشرة وهى جزيرة عكاز (القرين) فقد تم ردمها ضمن توسعات ميناء الشويخ البحرى. (انظر خريطه ٦).

وقد رجّح البعض أن تكون تسمية الكويت الحالية مشتقة من "الكوت" كتصغير للكلمة بمعنى "الحصن" أو "القلعة" أو "البيت المبنى على هيئة قلعة أو حصن بجانب الماء"[١] وقد غلبت تسمية القرين منذ القرن السابع عشر الميلادى على المكان بمعنى "التل" أو "الأرض العالية" ووردت بهذا الشكل على خارطة الرحالة الدانمركى "كارستن نيبئور" أثناء رحلته عام ١٧٦٥م. وقد غلب استخدام تسمية الكويت بدلاً من القرين منذ القرن الثامن عشر الميلادى.

ولقد إرتبطت جزيرة فيلكا بتاريخ الكويت الحديث مع نهاية القرن السابع عشر حين قصدها "العتوب" في نهاية رحلتهم الطويلة فنزلوا بها قبل أن يتنقلوا إلى بر الكويت.

ولقد تنوعت الملامح الطبوغرافية لدولة الكويت ولعبت دورًا هامًا في الاعاشة لأهلها وعبر العصور. (انظر خريطه ٧)

ويتميز سطح الكويت عموما بالإستواء، ويقطعه في بعض الأحيان بعض التلال القليلة الإرتفاع، أو المنخفضات الحوضية، ويتدرج السطح في الإستواء من مستوى سطح البحر في الشرق الى حوالى ٣٠٠ مترًا في الجنوب الغربى. ويمكن القول أن مدينة الكويت القديمة والجزء المعمور من البلاد كان يتركز إلى وقت قريب في المناطق الساحلية المنخفضة، والتى لا يزيد إرتفاعها عن ٥٠ مترا بأى حال من الأحوال.

وعلى الرغم من إستواء السطح وبساطته فإنه يتميز بتنوع مظاهره، ويمكن إستعراض هذه المظاهر التضاريسية فيما يلى: التلال، هضبة الأحمدى، الأودية، المنخفضات الحوضية والخبرات، السبخات، السهول والسواحل وجون الكويت.

ولعل من بين أهم التلال ما يعرف باسم تلال الزور أو غضى وهى عبارة عن حافة صخرية رأسية للهضبة الشمالية من أرض الكويت. وتطل هذه التلال على جون الكويت من الناحية الشمالية الغربية، ويصل أقصى ارتفاع لها إلى نحو ١٤٥ مترا، ويمكن تتبع بداية هذه التلال من جنوب غرب الجهراء باتجاه شمالى شرقى لتستمر حتى تحاذى الساحل الشمالى لجون الكويت. وتترك هذه الحافة بينها وبين ساحل جون الكويت شريطا من الارض السهلية تخترقها العديد من المسيلات المائية.

و تأخذ هضبة الأحمدى (ظهر الأحمدى) الشكل الطولى ممتدةً في إتجاه شمالى جنوبى لمسافة تقترب من ٣٠ كم، ويصل أقصى ارتفاع لها إلى نحو ١٣٧ مترا فوق سطح البحر. ويمكن القول أن هذه الهضبة الطولية يمكن

أن تعتبر بمثابة خط لتقسيم مياه المطر الساقطة على شكل سيول والتى تنحدر شرقا إلى ساحل البحر وتلك التى تنحدر غربا ناحية سهل البرقان. هذا ويعزى البعض تكوين هذه الهضبة أو الظهر أو القبة إلى الحركة الألبية نتيجة لضغوط جانبية بسيطة.

وتقطع سطح الكويت مجموعة من الأودية الجافة الضحلة (يمكن ملاحظتها في المناطق البعيدة عن كتلة المعمور) التى ترجع في نشأتها إلى فعل السيول، ويتجه معظم هذه الأودية من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى أى أن إتجاهها يتفق مع الإتجاه العام لإنحدار سطح الكويت، كما يتجه البعض منها إلى منخفضات محلية مثل منخفض الروضتين وأم العيش وسهل البرقان، أو تنحدر نحو الشرق باتجاه خور الصبية، أو نحو الخليج في الجنوب عند الاحمدى والخيران.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم الإستفادة من هذه الأودية قديما حيث كانت تسلكها طرق القوافل العاملة بين الكويت وأنحاء شبه الجزيرة العربية. وأهم الأودية في الكويت وأكبرها هو وادى الباطن، الذى يبدأ من أراضى المملكة العربية السعودية مخترقا الاراضى الكويتية في غربها باتجاه العراق. وهو مجرى مائى سطحى وتحت سطحى، ويمتاز باختلاف إتساعه وقلة عمقه. ويمتد باتجاه جنوبى غربى شمالى شرقى لمسافة ١٥٠ كم وينتهى عند البصرة بالعراق وهناك وادى آخر هو وادى المسنات، ويظهر عند الحدود الجنوبية للكويت. ويعتقد أن كلا الواديين (الباطن والمسنات) يمثلان خطين فرعيين من الخطوط التكتونية، أى أنهما تكونا على طول إنكسارات حدثت في أرض الكويت.

كما تعكس الملامح الطبوغرافية لدولة الكويت وجود بعض المنخفضات الحوضية والخبرات. وتشكل هذه الأحواض مناطق للتصريف الداخلى للأودية المتعددة المنتشرة في مناطق الكويت الشمالية والغربية والجنوبية، ولعل أهم هذه المنخفضات الحوضية منخفض الروضتين وأم العيش في شمال البلاد.

ويوجد بعض السبخات في دولة الكويت، وهى عبارة عن أراض منخفضة مستوية يقترب سطحها من مستوى الماء الباطنى وتغطيها قشرة من الاملاح، يتوقف سمكها على موقع السبخة ومعدل البخر. وتنتشر هذه السبخات في الكويت بالقرب من ساحل البحر، لاسيما في المناطق الجنوبية من النويصيب حتى جنوب ميناء عبدا لله. ولهذا نرى أن طرق القوافل البرية قد تحاشت المرور في هذه المنطقة، وتجدر الإشارة الى وجود نوع آخر من هذه السبخات يقع في أقصى الغرب في صحراء الدبدبة وحول وادى الباطن، وهو ما يعرف باسم "سبخات القيعان وبطون الأودية" وهى التى تتعرض لغمر فصلى من مياه الأمطار. إلا أن خطورتها على النقل أقل من السبخات الساحلية التى تغوص فيها الأقدام ولا تتحمل الأثقال المنقولة على الدواب. كذلك يمكن ملاحظة مثل هذه السبخات في جنوب غرب الكويت وبالذات المنطقة بين تلال المسنات وموقع السالمى على الحدود الكويتية السعودية.

ومن المعروف أن سطح الكويت يتألف بالدرجة الأولى من سهول رملية منبسطة إضافة لبعض الظاهرات الأخرى كالتلال القليلة الارتفاع والمنخفضات الحوضية.

ومن الملاحظ أن للكويت ساحل رملى منخفض يمتد من أقصى شمالها عند حدود العراق إلى أقصى جنوبها عند حدود السعودية، ومن خصائصه ضحولة المياه وقلة التعاريج، ولذا فإن المرافىء الطبيعية عليه كانت محدودة.

وهناك من الشواهد والدلائل ما يشير إلى توافر المياه بالكويت، وأنها ليست بلد صحراوى قاحل لا تسقط عليه الأمطار ولا تتوافر فيه المياه. وتصل كمية الأمطار المتساقطة إلى ٢٦١ ملم. ويرتبط مع تذبذب الأمطار كثافة ومدى انتشار الغطاء النباتى فوق سطح الكويت، كما يرتبط بكميات الأمطار مستوى الماء الجوفى في باطن الأرض. ولعل وجود بعض الآبار الوفيره المياه قد سهلت الاستيطان البشرى ووجود بعض المزروعات مثل قرية الجهراء الواقعة إلى الغرب من جون (خليج) الكويت، كما توجد عدد من الآبار في الفنطاس والفحاحيل الحالية[٢].

بعثات التنقيب الأثرى في فيلكا:

لم تحظ دولة الكويت بالكثير من اهتمام الباحثين في مجال الدراسات التاريخية والآثارية لاعتقادهم بأن تاريخها لا يعود إلى اكثر من أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر الميلادى. وكان لما قامت به البعثه الأثرية من متحف أرهوس الدانمركية في مواقع بدول الخليج العربى المجاورة دافعًا إلى طلب استشكاف أثرى بالكويت من قبل هذه البعثة بدءًا من عام ١٩٥٨ لكى تجد صله ربط حضارى بين مواقع الخليج العربى المختلفة خاصة خلال العصر الهيلينستى وما تلاه. وكان لما كشفت عنه تلك البعثه من آثار تعود لفترات أقدم من مرحلة الاسكندر الأكبر دافعًا لمزيد من البحث العلمى ولجهود علمية أخرى لبعثات أجنبية في المقام الأول ثم

بمشاركة وطنية من قبل إدارة الآثار والمتاحف بدولة الكويت لتلك البعثات الأجنبية في مرحلة تالية.

وقامت البعثة الأثرية الدانمركية بأعمال الحفائر في جزيرة فيلكا فيما بين أعوام ٥٨ – ١٩٦٣ باشراف بيتر جلوب P. Glob وجيوفرى بيبى G. T. Bibby . وقامت بنشر تقارير أولية عن تلك التنقيبات الأثرية في مجلة كومل Kuml التى يصدرها متحف عصور ما قبل التاريخ الدانمركى. وقد نشرت وزارة الارشاد والأنباء الكويتية (آنذاك) تقريرا شاملاً عن تلك الأعمال بعنوان "تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا عام ١٩٥٨ – ١٩٦٣". ونتيجة لتوقف أعمال البعثة الدانمركية توقفت التنقيبات الأثرية في جزيرة فيلكا بقرار من وزارة الاعلام الكويتية حتى عام ١٩٧٢ عندما تشكلت بعثة كويتية محلية باشراف د. رشيد الناضورى وبمشاركة بعض الشباب العاملين في ادارة الآثار والمتاحف والتى أنجزت مسحًا أثريًا عاما وأعدت تقريرًا لها بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٤ .[٣] وقامت بعثه أثرية من جامعة جون هوبكنز الأمريكية بالعمل في موقع (FH) بالجزيرة خلال عامى ١٩٧٤/٧٣ كان من بين أبرز ما كشفت عنه بالمكان بعض الكسر الحجرية المصنوعة من حجر الاستياتيت ومجموعة من الأختام الدلونية الدائرية الشكل ولم يتم نشر تقريرها العلمى للآن. كما أجرت بعثة من جامعة فينيسيا الايطالية عامى ١٩٧٧/٧٦ تنقيباتها في موقع كانت نتائج أعمالها به تؤكد إنتمائه للعصر الاسلامى. وأكملت البعثة الأثرية الفرنسية من متحف اللوفر والمعهد الشرقى في ليون التابع لجامعة السوربون بعض الأعمال التنقيبية في فيلكا، واستكمالاً لأعمال البعثة الأثرية الدانمركية بالمكان بدءًا من عام ١٩٨٣ وباشراف ج فرانسوا سال.[٤]

كما يذكر بالفضل بعثة المسح الأثرى المكونة من ادارة الآثار والمتاحف وباشراف الاستاذ برونو فروليتش من معهد سميثونيان الأمريكى في جزيرة فيلكا عام ١٩٨٤، وفي مواقع وادى الباطن بصفة رئيسية على اليابسة الكويتية.[٥]

وأخيرًا ينسب الفضل إلى بعثة الاستطلاع الأثرية السالف الاشارة إليها برئاسة د. رشيد الناضورى الكشف عن مواقع ترتبط بالتاريخ القديم في جزيرة أم النمل، الصليبخات، واره، البرقان، كاظمة تراوحت مكتشفاتها ما بين عصور ما قبل التاريخ إلى العصر اليونانى.[٦]

جزيرة فيلكا (ايكاروس الاغريقية)

تقع جزيرة فيلكا بالخليج العربى على بعد نحو عشرين كيلو مترا من دولة الكويت الحالية وهى تابعة لها سياسيا، ويبلغ طول الجزيرة اثنا عشر كيلو مترا وعرضها ستة كيلو مترات على شكل مثلث مستطيل الاضلاع بها تلال اثرية ومياهها عذبة، خصبة التربة ولها موانئ طبيعية صالحة لحماية المراكب عند هبوب الرياح (انظر خريطة رقم (٨)). وقد ساعدها موقعها على الطرق البحرية التجارية بين وادى الرافدين وبقية مناطق الخليج على توافر جميع الأسباب لقيام حضارة غنية تعتمد على التبادل التجارى وعلى الرسوم البحرية على السفن التى كانت تمر في موانيها.[٧]

ووردت تسمية للجزيرة على أنها "إيكارا" Ikaros في المصادر الكلاسيكية خاصة كتابات "بلينى" و "سترابون" وفي ارتباط مع اسم تلك الجزيرة اليونانية في بحر إيجه تنفيذاً لأوامر الاسكندر الأكبر[٨] . بينما يذهب

رأى آخر إلى أن تسمية "فيلكا" الحالية هى في الأصل تسمية يونانية بمعنى "الجزيرة البيضاء"[٩] . بينما يرجح الاشتقاق العربى لها من مادة "فلجة – فلج" وفقًا لمعجم البلدان لياقوت الحموىوأن "فيلجة" تصغير "فلجة". ويروى بالمكان أن الجزيرة كان يمر بها فلج من الماء العذب جف حاليًا بوسط الجزيرة. وعلى هذا يبدو أن تسمية الجزيرة "فيلجة" هى اللفظ العربى الصحيح ومحرفًا عن الكلمة العربية "فيلجة" بمعنى "الأرض الطينية الصالحة للزراعة"[١٠]

وقد كشفت اعمال الحفر الأثرى من البعثة الدانمركية في تلالها الأثرية على وجود مواقع أثرية تعود إلى عصور حضارية عدة، وبعضها يعود حتى إلى العصر البرونزى المبكر، وايضا بقايا البناء الهلينستى بمعبده المميز وكثير من اللقى الاثرية وأهمها الحجر المدون عليه باليونانية اشارة الى اسم الجزيرة "ايكاروس" وهو ما يتفق مع التسمية التى اوردها الكتاب الكلاسيكيون بخصوص فيلكا[١١] (انظر خريطة رقم ٨). وكان من ابرز الاكتشافات الأثرية في فيلكا تلك المجموعة الفريدة من الأختام التى تتميز بأشكالها الدائرية وبموضوعاتها الخاصة ويربو عددها على أربعمائة ختما وسبع وعشرون والتى تتشابه في موضوعاتها وفي أشكالها مع تلك المكتشفة في البحرين[١٢] . وقد عثر على معظم هذه الأختام في مواقع تل سعد (F3)،وفيلكا ٦ (F6) ، وتل سعيد (F5) المؤرخ من العصر الهلينستى. وتنقسم تلك المجموعة من الأختام إلى أربع أنماط: مجموعة من الأختام الدلونية ذات الوجه الواحد، المجموعة المتغيرّة الأشكال من الأختام ذات الوجه الواحد، مجموعة الأختام المزدوجة الطبقة (الوجه)، وأخيرًا مجموعة الأختام الأسطوانية[١٣] . واستطاع الانسان من خلال هذه الأختام أن يعبّر عن

مفاهيمه الفكرية فرسم النجوم والسماء والشمس والطيور وصراع الانسان مع الحيوانات والزواحف.[١٤]

بالإضافة إلى تلك الأهمية لجزيرة فيلكا من الناحية الأثرية، فقد عكس موقعها كذلك أهمية تجارية باعتبارها ميناءً هاما على خطوط التجارة الدولية البحرية عبر الساحل الغربى للخليج العربى ما بين أور شمالاً في جنوب العراق إلى فيلكا، البحرين وجزيرة أم النار في الجزء الجنوبى من الخليج العربى. ولعل مثل هذا الموقع الهام على خطوط الاتصالات الدولية كان دافعًا للاسكندر الأكبر من اتخاذها قاعدة عسكرية هامه لجيشه وأسطوله. ولعل تفرّد الجزيرة بتربة زراعية يمكن استغلالها اقتصاديا، وبوفرة المياه العذبة بها وعلى أعماق قليلة والذى دعمه ما ورد من إشارات نصية في ارتباطها بها على أنها مقر إله المياه العذبة "إنكى" Inki ما يدعّم ذلك. كما كان للجزيرة أهميتها الدينية باعتبارها مقرًا للآله انكى، وبوجود معبد الآله انزاك Inzak كبير آلهة دلون بها وفي ارتباط مع "عقيدة المياة العذبة"، وباتخاذها في العصر الهلينستى أماكن عباده لبعض الآلهة اليونانية من قبل بحارة الأسطول اليونانى وخاصة ما تم الكشف عنه من معبد لارتيمس Artemis soteria ومن عثور على نصوص يونانية بها إشارات إلى اسم الآله المشترى Zeus soter ، اله البحر عند اليونان، والهة النصر، والهة الجمال والاله بوسيدو Poseido في إرتباط مع هذا الثالوث المقدس (زيوس – أرتيمس وبوسيدو".[١٥]

وقد تعددت الآثار المكتشفه بالمكان، والمادة الأثريه بها ومواقعها من أوانى فخارية وأوانى حجرية، الأختام، مجموعة الحراب البرونزية، وعديد من الكتابات السومرية وبعض الآثار اليونانية، وعمله سليوقية من عهد انطيوخوس الثالث ٢٢٣ – ١٨٧ ق.م وأيضا دراخما ربما تعود إلى الحضارة

المعينية. وكان من أهم مواقعها الأثرية: دار الضيافة (الخان)، منطقة تل سعد وتل سعيد والتل الشمالى وأيضا تل القرينية وتل الخزنة والقصور.

المواقع الاثرية الهامة :

لقد أصبحت مقولة عامة تلك التى أطلقها أحد الباحثين الأمريكان "أينما تحفر في بر الكويت فانك تعثر على النفط، وأينما تحفر في فيلكا فانك تجد آثارًا. انها متحف أثرى ملئ بالتاريخ"[١٦] . وقد تعددت المواقع بها وخاصة في جزئها الجنوبى الغربي.

تل سعد (ف ٣) :

أبانت الحفائر الاثرية في هذا التل المنخفض جنوب غرب الجزيرة قرب الساحل عن منطقة سكنية كانت معاصرة للطبقات السكنية في جزيرة البحرين (انظر شكل ٣). عثر فيها على أدوات حجرية من الحجارة السوداء (الصابونية) المسماة الستياتيت، وأختام مستديرة مدببة (الأختام الدلونية) بعضها ذات وجهين عليها رسوم اشخاص بلباس يشبه اللباس السومرى وعلى اغلبها رسوم غزلان وثيران. كما عثر أيضا على بعض الأختام الأسطوانية العراقية الأصل (انظر شكل ٤). كما عثر بالمثل على بقايا منازل وحجرات كثيرة متزاحمة اقيمت في صفوف باتجاه شرقى وشمال شرقى وغربى الى جنوب غربى. وتبلغ مساحة الغرفة ٣ × ٣ متر مربع. وجدران تلك البيوت مبنية بالجص والحجر ومجصصة من الخارج في بعض الحالات. كما عثر في خارج أكثر البيوت على آبار غير عميقة كان يؤخذ منها الماء كما كان يفعل سكان الجزيرة حتى وقت قريب وربما في ارتباط عقائدى مع ما تم الكشف عنه بالمكان من بقايا معمارية لمعبد الاله إنزاك Inzak كبير آلهة دلمون والمرتبط بعقيدة المياه العذبة في الديانة العراقية

القديمة. وقد تكونت خزانات صغيرة كالبرك لحفظ الماء. كما عثر بالموقع على أربعة افران مبنية من الحجر لحرق الأوانى الخزفية وغيرها وعلى مجموعة من الحراب البرونزية وبالمثل على عظام حيوان.[١٧] (انظر شكل ٥)

دار الضيافة (الخان) (ف ٤) :

كشفت الآثار بالموقع الكائن في الجنوب الغربى من جزيرة فيلكا، وبمحاذاة الشاطئ عن بقايا بيت مؤلف من اثنى عشر غرفة منها غرفتان في المنتصف يرجح انهما كانتا تؤلفان ساحة البيت ومبنية جدرانه التى لا تزال قائمة في بعض اجزائه من الاجر المربع ٣٠ × ٣٠ سم من النوع المعروف في بابل ويرجح انه أُستورد منها (انظر شكل رقم ٦). وقد أبانت الآثار المتبقية من المكان (وهى عبارة عن صورة صغيرة لوجه الاسكندر الاكبر وحجر صغير عليه رسم إله أو ملك بيده ما يشبه التفاحة بالإضافة إلى كميات كبيرة من الفخار المكسور) عن كون المكان في جزيرة فيلكا أول محطة تتوقف عندها السفن في طريقها من أو إلى جنوب الخليج وفي إرتباط مع المدن السومريه في جنوب العراق، وأن جنود الاسكندر عند عودتهم سالمين الى هذه الجزيرة (فيلكا) القريبة من بابل عاصمة الاسكندر الشرقية قدموا لآلهتهم التى نصرتهم في الهند على أعدائهم القرابين[١٨] (انظر شكل ٧).

منطقة تل سعيد (القلعة والمعبد الونانى) (ف ٥) :

أبانت الحفائر من كل من البعثة الدانمركية والبعثة الفرنسية بالمكان عن بقايا قلعة هيلينستية من القرن الثالث ق.م بنيت على شكل مربع طول كل ضلع من جوانبها مائتين قدم وفي كل زاوية برج مربع، ولها بوابتان واحدة شمالية والأخرى جنوبية. وقد اقيمت في المكان لحماية المدينة. وفي وسطها عثر على هيكل لآلهة اغريق والآلهة المحليين من عهد الاسكندر

(انظر شكل رقم ٨). وقد عثر بالمكان على لوح حجرى المعروف إصطلاحًا باسم "حجر ايكاروس" يحمل كتابة يونانية مطولة ملقيا على مقربة من مكانه الأصلى في الواجهة الأمامية من المعبد الأول (حوالى ٢٣٩ ق.م) من الملك "سلوقس الثانى" كلينيكيوس الى ايكاديون بشأن إقامة معبد مكرس الى "المنقذة" إضافة إلى تعليمات بشأن إقامة الاحتفالات وحقوق الشعب والملكية وامتيازات للزائرين الأجانب[١٩] . كما وجدت قطعة تحمل كتابة أصغر وعدد من التماثيل المصنوعة من الطين المحروق وكثير من الفخار والتماثيل الفخارية التى يمثل احداها فينوس آلهة الجمال[٢٠] (انظر شكل رقم ٩) وكمية من النقود الهيلينية يحتوى احداها على صورة انطيوخس الثالث الذى حكم الامبراطورية السلوقية ما بين ٢٢٣ – ١٨٧ ق.م" ويرجح انها سكت في سوريا ويحمل الوجه الثانى لقطعة النقود صورة الآله ابوللو حامى الاسرة السلوقية[٢١] (انظر شكل رقم ١٠). وقد وجدت بقايا مبانى غير منتظمة حول المعبد لعلها كانت للسكن، وهناك أيضا تحصينات ذات نفع قليل وقد دمرت وبنيت عدة مرات وحفر حول المكان خندق صغير عميق وعريض[٢٢] .

ووجد في واجهة المعبد بقايا قاعدتى عمودين، الجنوبية منها كاملة تتألف من ثلاثة أجزاء منفصلة، الجزء الأسفل مؤلف من حجر مربع رقيق وفوقه قاعدة مستديرة مزخرفة بأوراق شجر من الطراز النخيلى المعروف في الفن المعمارى الفارسى في حين تشبه تيجانها بشكلها اللولبى التيجان الايونية (اليونانية) أما التأثير الزخرفى فهو وفقا للطريقة اليونانية وهو عبارة عن التلوين بألوان غامقة[٢٣] (انظر شكل رقم ١١). ويفترض أن هذه المبانى قد شيدها الاسكندر الأكبر أو أحد خلفائه، وأن هذه المستعمرة من ضمن المبانى التى كان الملوك السلوقيين يقيمونها في امكنة متباعدة من مقاطعاتهم الشرقية، وأن هذا المكان كان مركزا ثقافيا وإداريا للجزيرة في العهد الهيلينى وربما كان

همزة الوصل بين الجزيرة والعالم الخارجى ولعله كان مركزا دينيا أيضا. وعكست الملامح المعمارية والنمط الزخرفيين عن خليط من المدارس الأجنبية اليونانية والفارسية. كما عثر بالمكان على مجموعة ضخمة من الفخار الهيلينى وبأشكال متعددة. (انظر شكل رقم ١٢)، وكذلك مجموعة من اللمبات اليونانية الطابع والنمط الفخارى المعروف في شكل زمزمية الحاج (Pilgrim flask) ، (انظر شكل رقم ١٣ أ – ب)

التل الشمالى (ف ٦) " قصر الحاكم" :

عثر بالموقع على العديد من آثار العصر البرونزى المبكر وخاصة الاختام المستديرة المدببة وقطع حجرية منحوت عليها رسوم مختلفة وبعض الكتابات المسمارية، ومخازن الأوانى الفخارية التى تعود الى العصر البرونزى الأخير (انظر الشكل رقم ١٤ – ١٥)، كما تتشابه المساكن المكتشفة بالموقع مع تلك من موقع "قرية" (الفاو بالمملكة العربية السعودية)والتى كانت بها حضارة قديمة منذ القرن الثالث ق.م وما يليه. وكشف أيضا عن فرنين مستديرين مبنيين من جدران حجرية، وأخيرا عن جعارين يشبه احداها الجعران المصرى (انظر شكل رقم ١٦) مما قد يعكس إضافة إلى تلك الأختام الاسطوانية المعروفة من للعراق – على وجود صلات تجارية بين وادى الرافدين وجزيرة فيلكا وربما أيضا مع مصر[٢٤] .وتدل الحجارة المصنوع منها هذا الجعران والصور والزخرفة التى عليه أنه معمول محليا.[٢٥]

كما كشفت أعمال البعثة الفرنسية في موقع F6 عن مكان لصهر النحاس، وما قد يحتاج ذلك إلى مزيد من الدراسة حول موضوع النحاس في فيلكا،كيفية وجوده، وكيفية صهره وصنعه، إلى جانب ما يلقيه وجود النحاس من ضوء على العلاقات التجارية في ذلك الوقت. كما تم الكشف

أثناء التنقيب في الموقع عن بقايا هيكل عظمى لانسان داخل جرة فخارية تعود إلى نهاية القرن السابع أو إلى السادس قبل الميلاد. وقد فقد أثناء الغزو العراقى عندما كان تحت الدراسة من قبل كلية طب جامعة الكويت. كما كشفت أعمال البعثة الفرنسية أيضًا عن بقايا منشآت معمارية من العصر الهلينستى (من القرن الثالث إلى الأول قبل الميلاد) في الموقع (F6) والذى سبق أن تعرفت عليه البعثة الأثرية الايطالية واعطته على وجه الاحتمال تأريخًا من منتصف الألف الأول قبل الميلاد.[٢٦]

تل القرينية :

يقع تل القرينية في شمال غرب جزيرة فيلكا، ويمتد إلى مسافة مائة متر طولا وثلاثين مترا عرضا، ويكاد الجزء الشرقى منه يلامس ساحل البحر الذى تتناثر عليه الصخور البحرية التى استخدم جزء منها في بناء المستوطنة الأثرية القائمة على التل[٢٧] (انظر خريطة ٨).

وقد اعتمدت اقتصاديات هذه المستوطنة أساسًا على البحر الغنى بالثروة السمكية واللؤلؤ وأيضًا على الزراعة خاصة وأن الأرض المجاورة للتل من الناحية الشرقية تبدو أنها كانت خصبة حيث توجد آبار المياه العديدة. وقد عكست المكتشفات الأثرية من فخار وعملات أن تل القرينية قد تعاقبت عليه مراحل تاريخية قد تمتد إلى العصور الحجرية القديمة واستمرت حتى الفترات الاسلامية الحديثة[٢٨].

إضافةً إلى ذلك فقد كشفت أعمال المجسات الاختبارية من قبل إدارة الآثار والمتاحف في موقع "رأس الخضر" إلى الشمال الغربى من جزيرة فيلكا عن وجود تطابق لأنماط الكسر الفخارية مع تلك المنتشرة على السطح بالمكان من العصر البرونزى المبكر.

كما كشفت أعمال بعثة جامعة فينيسيا الإيطالية في موقع "تل الخزنة" بالجزء الجنوبى الغربى من جزيرة فيلكا على العثور على رءوس تماثيل من الطين المشوى وقطع من الحجر الصابونى وختم. وعثر كذلك بالمكان على بعض العملات الهلينستية عرف على بعضها أسماء الاسكندر، فيليب الثالث المقدونى وسلوقس الأول. كما أكدّت أعمال البعثة الفرنسية بنفس الموقع مدى ما أصابه من أعمال للنهب والتدمير.

وأخيرًا قامت بعثة فرنسية وإيطاليه بأعمال استكشافية في موقع منطقة "القصور" في وسط جزيرة فيلكا وبمساحة تشغل أكثر من ٨٠٠ مترا مربعًا كشفت عن بقايا معمارية لكنيسة يرجح تأريخها ما بين القرنين الخامس والسادس الميلادى وجد بين بقاياها المعمارية لوحتى فريسكو تحملان نقوشًا تمثل الصليب، وكذلك على فخاريات من العصر الإسلامى ما بين القرنين السابع والتاسع الميلادى.[٢٩]

أعمال المسح الأثرى في وادى الباطن :

تكون فريق المسح الأثرى من الدكتور برونو فرو ليتش الأستاذ بجامعة جورج واشنطن ويعمل في معهد السميثونيان بقسم الانثروبولوجيا وجواد النجار ومجموعة من باحثى الآثار بمتحف الكويت، ادراة الآثار والمتاحف خلال موسم ٢ – ١٥ فبراير ١٩٨٧ [٣٠]

وتم الكشف عن مواقع أثرية ثلاث في وادى الباطن التى كانت تتوافر به مصادر للمياه، وسلكته القوافل التجارية وقوافل الحج أيضًا من العراق إلى مكة. وغطت أعمال المسح الأثرى إضافة إلى وادى الباطن منطقة تقع ما بين مركز الحدود في العبدلى شمالاً وحتى مركز حدود السالمى غربًا ومدينة الجهراء جنوبًا وبالمثل مواقع الروضتين، أم العيش، أم الرمم، هضاب جبال الزور ومنحدراتها وخور الصبية[٣١] . (انظر خريطة ٩)

وكان من بين أهم ما أبانت عنه أعمال هذا الفريق العلمى العثور على دلائل حضارة العصر الباليوليثى (العصر الحجرى القديم) على سطح المرتفعات المحيطه بموقع وادى الباطن شبيهة في ذلك لما تم العثور عليه في مواقع حوض البرقان وواره والصليبخات إضافة إلى بعض الكسر الفخارية والقار والزجاجيات وعملة من العصر الإسلامى.[٣٢]

جزيرة عكاز :

تقع جزيرة عكاز شمال غرب ميناء الشويخ قبالة كلية الحقوق بجامعة الكويت وتبعد عنها بحوالى الكيلو متر الواحد وإلى جوار جزيرة أم النمل داخل جون الكويت. وقد تم ردم الجزيرة لتصبح أرضها جزءًا من مخازن ميناء الشويخ الحالى. وقام فريق من الباحثين ضمن البعثة الأثرية الكويتية – الأردنية بالعمل في الموقع عام ١٩٧٨ . وكشفت أعمال الحفر على أن الطبقة الرابعة من الموقع أول مرحلة سكنية للإنسان تلتها في مرحلة متأخرة الفترة الاسلامية (انظر شكل رقم ١٧). ويدل توافر العظام على امتلاك أهل الجزيرة لثروه حيوانية لا بأس بها (أبقار – أغنام – أرانب)، وعكس وجود العاج، الحديد والبرونز وجود علاقات تجارية لسكان الجزيرة مع مناطق مجاورة لها. وكان بين أهم ما كشف عنه بالمكان مواقد من الفخار، جرار لتخزين المياه العذبة أو الزيوت طليت جدرانها من الداخل بالقار لايقاف تسرب السوائل، وقطع زجاجية صغيرة – وعظام وقطع من الحديد على شكل حراب. وقد تعدّدت ألوان الأوانى الفخارية المكتشفة بالمكان بين البنى الفاتح، الغامق والأصفر والمخلوط بالتبن، والفخار المزجج بالألوان الأصفر والأخضر والأزرق والفضى مما يرجح معها تأريخ تلك الآثار بالموقع إلى فترات إسلامية ما بين القرن ٩ – ١٢ الميلادى[٣٣] . كما عثر بين المخلفات الأثرية بالمكان على بعض الكسر الفخارية التى رجّح تأريخ لها من

العصر الكاشى، وشبيهة في ذلك لما تم العثور عليه في جزيرة أم النمل. كما كان من بين ما كشف عنه بالمكان بقايا بناء دائرى في أعلى قمة الجزيرة رجح أن يكون إما بغرض دفاعى أو كمرصد للسفن.[٣٤] وتقوم ادارة الأثار والمتاحف بدولة الكويت حاليًا بالتعاون مع بعثة الآثار الفرنسية بإشراف ج فرانسوا سال بأعمال التنظيف والترميم للموقع خاصة بعد ما لحق به من دمار أثناء الغزو العراقى واستعدادًا لاستكمال أعمال التنقيب بالمكان.

جزيرة أم النمل :

جزيرة أم النمل عبارة عن جزيرة صغيرة الحجم على شكل مثلث وتقع داخل جون الكويت وبالقرب من جزيرة عكاز. وتبعد حوالى ٦٠٠ م عن رأس عشيرج، أرضها مسطحة ولا يوجد بسواحلها ما يساعد على وجود مرافئ طبيعية. ويبلغ متوسط طولها حوالى ١٨٠٠ م وأقصى عرض ٩٠٠م.[٣٥]

وقد أعتمد أهلها على مصائد اللؤلؤ والمحار والأسماك. وقد أجرى أول مسح أثرى لها وأعمال تنقيبات عام ١٩٨٥ باشراف فهد الوهيبى وبمشاركة مجموعة من الباحثين بإدارة الآثار والمتاحف الكويتية. وكانت نتيجة التنقيبات موضوعًا لاطروحته لدرجة الدكتوراه.

ولعل أهم ما كشف عنه بالمكان يعود إلى العصر البرونزى المبكر في موقع 515 حوالى ٢٣٠٠ ق.م والذى تتشابه بعض ما عثر عليه به مع ملامح فخار حضارة باربار من البحرين (دلمون). كما عثر بالمكان على فخار مخلوط بالقار ربما لحفظ المحتويات به. كما عثر بالمكان على بعض الكسرات الفخارية من العصر الكاشى (LB) ، وبالمثل على بقايا صخرية معمارية في شكل قوس رجح أن تكون قبرًا من العصر الهلينستى أو ما يليه، وإن لم يعثر بداخلها على أى بقايا عظمية لبشر ترجح مثل هذا الاستخدام. وعثر بالموقع

كذلك على عملة تعود على أكثر الاحتمالات ترجيحًا إلى القرن الثانى الميلادى وعلى نماذج لأثقال الشباك وبعض الفخار الهلينستى الطابع وبعض نماذج فخار العصر الإسلامى.[٣٦]

كما عثر في موقع S2 إلى الشمال الشرقى من جزيرة أم النمل على بقايا تخطيط معمارى لمنزل يعود إلى حوالى ١٨٥٠ م تقريبًا، وعلى بعض الأفران Kiln الطينية، ومجموعة من الجرار مستورده من عمان في القرنين ١٧ – ١٨ م وعلى كسرات من البورسلين الأزرق تتشابه مع ما عثر عليه في منطقة شرق أفريقيا، من كينيا خاصة، وعلى أساور زجاجية تعود على وجه الاحتمال إلى القرن ١٨ – ١٩ م[٣٧].

ومن اللافت للنظر أن معظم البقايا الأثرية في دولة الكويت المكتشفة الى الآن تعود بصفة أساسية إلى مرحلة العصر الباليوليثى والميزوليثى (وادى الباطن، حوض البرقان) مع ترجيح بقايا أثرية منتمية إلى عصر الحضارة العُبيدية في شبه جزيرة الصبّية. وتركزت آثار العصر البرونزى المبكر بصفة أساسية في موقعى F3 ، F6 من جزيرة فيلكا وبالمثل بعض الدلائل الأثرية من موقع جزيرة أم النمل. وتشغل بعض البقايا الأثرية الممثلّه في كسرات من الفخار الكاشى من أواخر العصر البرونزى الوسيط في دوره الثالث إلى العصر البرونزى الحديث عثر عليها في جزيرتى عكاز وأم النمل الفراغ الزمنى الكبير ما بين نهاية الألف الثالث إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد. ولعّل ما ترجمته الدراسة الحديثة المقارنه لبعض فخاريات جزيرة فيلكا ما يجعلها تعود إلى فترة العصر الدلونى الوسيط من الألف الثانى قبل الميلاد مما يشجّعنا على ملء تلك الفجوه في تاريخ الكويت القديم. وتتمركز الآثار من العصر الاخمينى إلى العصر الهلينستى في جزيرة فيلكا بصفة اساسية.

خريطة (٦)

خريطة دولة الكويت – Map of Kuwait

الفصل الخامس

مدخل إلى آثار دولة قطر

الفصل الخامس
مدخل إلى آثار دولة قطر

تمهيد: مدخل إلى الجغرافيا التاريخية والطبيعية لقطر

تغطي شبه جزيرة قطر مساحة تزيد على الأربعة آلاف ميل مربع، وهي تمتد كالنتوء البارز من أراضي الجزيرة العربية إلى داخل ميناء الخليج العربي. وتقع قطر في منتصف الساحل الغربي للخليج العربي، ويحيط بها البحر من الشمال والشرق والغرب، أما في الجنوب فتتاخم أراضيها أراضي المملكة العربية السعودية. ويفصل بينها وبين الساحل الشرقي للجزيرة العربية ما يُعرف باسم خليج سلوى أو خليج البحرين[1]. (انظر خريطة ١٠)

وتبلغ مساحة أراضي قطر ٤٠٠٠ ميل مربع، وطولها من الشمال إلى الجنوب ١٦٠ كم، وعرضها من الشرق إلى الغرب ٨٠كم، وهي بوجه عام أرض مقفرة جدباء وغير صالحة للزراعة. وأشار إليها الرحالة "بلجريف" بعبارة "ذلك المكان البائس". وتتكون شبه جزيرة قطر من صخور وعرة وصحراء حصوية، والجزء الشمالي منها مرتفع. ويتميز مناخ قطر بالحرارة مثله في ذلك مثل مناخ شبه الجزيرة العربية، والأمطار قليلة ومتناثرة[2].

ومن الجدير بالملاحظة أن البحث العلمي قد أظهر أن قطر ارتفعت أراضيها بما يقارب المترين في الخمسة آلاف سنة الأخيرة، وما يرتبط بذلك من ضرورة مراعاة تلك الحقيقة حين البحث عن المواقع الأثرية الساحلية[3].

ولعل تلك الملامح الطبوغرافية توضح مدى إعتماد المجتمع الحضري على البحر تمامًا حيث كان لحركة الصيد والغوص لجمع الآلئ والتي تعتبر من أحسن اللآلئ في العالم أهمية خاصة[4]. ويليها في الأهمية صناعة النقل

البحري، وأخيرًا صناعة صيد الأسماك. أما بالنسبة للقبائل فقد مارست مهنة البدو التقليدية وهي رعي الغنم والجمال[٥]. ولم تمثل الزراعة في أي وقت موردًا اقتصاديًا في قطر، وذلك لندرة المياه لعزوف السكان عنها، رغم وجود عدد من المزارع المنتشرة.

ويذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت (٥٨٤-٤٥٢ ق.م): أن القبائل الكنعانية التي ترجع أصولها إلى الفينيقيين أول من سكن قطر، وسكنتها أيضًا قبائل العرب البائدة من "طسم" و "جديس" القادمة من اليمامة في جنوب شرقي نجد، كما سكنتها قبائل العرب "العاربة" من قحطانية وعدنانية كبني تميم وعبد قيس.

وورد اسم قطر في خريطة بطلميوس باسم "قطرا"، كما يذكرها بليني باسم "قطراي" ويعتقد الجغرافيون في الوقت الحاضر أن موقع قطرا وقطراي ربما كان في خرائب مدينة الزبارة التي تقع على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر[٦].

أعمال الكشف الأثري في قطر:

تعتبر قطر من الناحية الأثرية والتاريخية أهم مناطق الخليج العربي حيث تتمثل هنا أقدم الحضارات الإنسانية التي تم الكشف عنها في المنطقة حتى الآن، ولقد اهتم الباحثون الأجانب بمنطقة قطر، ولعل من أهم هؤلاء المشاركون في أعمال البعثة الدانمركية[٧].

وقد كشفت حفائر البعثة الدانمركية في الساحل الغربي من قطر على كميات كبيرة من أدوات حجرية من العصور الحجرية المتوسطة والحديثة جنوب "دخان" والتي عثر بها على ما يزيد عن ٢٠٠ رأس نبل وعدد كبير من الفؤوس والمقاشر الحجرية، ثم العصر النحاسي الحجري وخاصة في

مواقع الحملة والوصيل والحويلة وعقلة المناصير وأم الماء وأم صلال ورأس عوينات على[٨]. كما أبانت أعمال البعثة عن رسوم مختصرة على جوانب الصخور صوّرت مناظر زخرفية وملاحية وعقائدية وأيضًا بقايا بلدة يرجع عمرانها إلى أواسط الألف الأول ق.م[٩].

وبالإضافة إلى أعمال البعثة الدانمركية، قام المنقبون الفرنسيون بحفائرهم بدءًا من عام ١٩٧٦[١٠]، حيث أمكن التعرف على ما يزيد عن ١٣١ موقعًا من مواقع العصور الحجرية المختلفة، كما عثر على بقايا تعود إلى عصر العبيد في تل الدعسة الأثري، وفي موقع قرب بلدة الخور[١١].

ولقد كشفت المخلفات الأثرية نماذج لحضارات العصر الحجري القديم (الباليوليثي)، على الهضبات الصخرية على طول سفوح تلك الجبال، وعثر على فؤوس يدوية وأزاميل خشنة ونماذج على شكل سكاكين، وبالمثل على نماذج لحضارة العصر الحجري الوسيط (الميزوليثي). وبالمثل عُثر على المكاشط والمخارز ورؤوس السهام، وبالمثل نماذج لحضارة العصر الحجري الحديث المميزة بتنقية الرقائق أو الشظايا ذات الأشكال العجيبة وفيها يظهر لأول مرة الفأس اليدوي وتختفي المكاشط أو المحكات، أما رؤوس السهام فمتنوعة الأشكال والأحجام، وبالمثل الشظايا والأزاميل[١٢]. (انظر شكل ٢).

وذهب الرأي إلى وجود مجموعات حضارية أربعة تعكس أقدمها حضارة العصر الباليوليثي وتعكس حضارة المجموعة (أ، ب) العصر الميزوليثي أو ما يطلق عليه "حضارة رؤوس السهام" بينما تمثل حضارة "المكاشط" "ج" استمرارية للعصر الميزوليثي، وأخيرًا تعكس حضارة المجموعة "د" أو الرابعة العصر النيوليثي[١٣]. (انظر شكل ١٨).

ولقد تم العثور على نحو خمسين تلا تم التنقيب في أحدها في الشمال الغربي من شبه جزيرة قطر، وثبت أن هذا التل يمثل رجمًا حجريًا

يحيط بمدفن حجري يتجه من الشمال إلى الجنوب، على عكس مدافن البحرين التي تتجه من الشرق إلى الغرب. وكان المتوفي يوضع في وضع نصف تقلصي، ويرقد على جانبه الأيمن ويتجه رأسه إلى الشمال، وتكون الأيدي موضوعة أمام الوجه، ولم يعثر على أثاث جنزي مع المتوفي، ولم تتمكن البعثة الدانمركية من تأريخ هذا المدفن وإن كان من المؤكد أنه يعود إلى عصور ما قبل الإسلام[١٤].

ومن اللافت للنظر بشأن مقابر قطر أن اتجاه القبور بها شمالي جنوبي على العكس مما نعرفه عن مقابر البحرين ذات الاتجاه شرق – غرب.

وقد كشفت البعثة عن قبور أخرى في أم "الماء" وفي شمال أم صلال، بالقرب من رأس أباروق، شمال شرقي دخان. ولقد عُثر على قبر يضم هيكلين وعددًا من رؤوس السهام الحديدية، وسيفًا من معدن الحديد، كما عثرت البعثة على قبرين حجريين[١٥].

وأخيرًا فإنه ليس من المؤكد وجود ما يعكس معرفة أهل قطر القدامى لاستئناس الحيوان، أو زراعة النباتات مع الأخذ في الاعتبار ما قد يفسره البعض من عثور على رحى في موقعي "الخور" و "دخان"، عن وجود حضارة العصر النيوليثي، وما يرتبط به من معرفة الزراعة. إلا أن هناك ما يعكس وفقًا لما عثر عليه في موقع الخور، من صلة ربط تجاري مع حضارة العبيد، إن لم تكن في حد ذاتها منطقة نفوذ عبيدي، أو حتى تواجد بالمكان، وحتى الساحل الغربي من شبه جزيرة قطر، والذي يشير إلى العديد من التساؤلات عن أصول أهل الموقع من جهة، وصلة الربط الحضاري له مع الحضارات المجاورة من جهة أخرى[١٦].

إضافة إلى ذلك فقد عُثر على فخار عبيدي في أربع مواقع أخرى بشبه جزيرة قطر في دعاسة، وفي موقع بالقرب منها، وفي رأس اباروق، وفي

موقع بيرزيكريت، وكلها مواقع ساحلية، ويبدو أنها كانت مستقرات موسمية، ولم يعثر على نماذج لفخار عبيدي إلى الجنوب أو المنطقة الشرقية من قطر[١٧].

أما فيما يتعلق بتلك النقوش الصخرية بقطر والتي كشفت عنها البعثة الدانمركية فقد عثر على تجمع كبير منها عند جبل الجساسية بلغ عددها ٥٩٢ نقشًا. ومن هذه النقوش ما يمثل سفنًا مختلفة الأشكال كما توجد بعض النقوش ذات الشكل البيضاوي، كما توجد بعض النقوش الفريدة في مظهرها، والتي تتمثل في قوس يقطعه في المنتصف خط مستقيم في أربعة أماكن، وآثار لأقدام وخطوط وأحواض ورموز وحيوانات[١٨].

ولعل أهم تلك الأشكال ما عرف باسم وردة الأكواب Cup-marks التي قد تعكس فكرة مقدسة لها إرتباط بالخصوبة[١٩]، والتي تتشابه في تصميمها مع ما عثر عليه في اسكتلندا وفقًا لما يراه دينيس هوكنز[٢٠]. بينما يذهب رأي آخر إلى إعتبار هذا الشكل لوردة الأكواب نوعًا من الألعاب للتسلية[٢١]. (انظر شكل ١٩).

إضافة إلى ذلك فقد قام فتحي عفيفي بدراسة مجموعة أخرى من النقوش الصخرية بدولة قطر[٢٢]. وبإطلاق فإن دراسات جلوب وجيو فري بيبي وهولجر كابل وهوكنر وفتحي عفيفي عن تلك النقوش الصخرية القطرية توضح تفردها في نسقها، ودقتها.

أما ما يتعلق بحضارة أوائل الألف الثاني ق.م، في شبه جزيرة قطر فهناك القليل الذي يمكن الإشارة إليه، خاصة العثور على بعض كسرات الفخار الأحمر المحزّز Red-ridged shade وبكميات قليلة في موقع واحة بيرأباروق (البئر ٣، الطبقة ٢)، خلال أعمال البعثة الأثرية البريطانية بإشراف باتريسا دي كاردي B. de Cardi، وأيضًا في جزيرة حوار[٢٣]. كما

عُثر على ما يرتبط أثريًا مع حضارة دلون البحرينية من خلال الفخار الأحمر المحزز من موقع المدينة الثانية الدلونية على ساحل شبه جزيرة قطر مما يرجح معه إرتباط حضاري بين مركزي الحضارة في قطر والبحرين آنذاك[٢٤].

وبالمثل فإن ما كشف عنه أخيرًا في موقع الخور من العثور على محار بكميات ضخمة، وما يرتبط به من صناعة الأصباغ، إضافة إلى فخار كاشي الطابع من العصر البرونزي الحديث (LB) جعل البعض يسترجع ما نادى به هيرودوت من قبل بأصول خليجية للحضارة الفينيقية[٢٤].

وعلى هذا فإن الضباب التاريخي المطبق على المراحل التالية لحضارة ما قبل التاريخ – وهي تلك المميزة للحضارة القطرية – بدأ ينقشع رويدًا رويدا، وبدأت المواقع الأثرية تعطي لنا قليلاً من الضوء على بعض الفترات التاريخية من العصر البرونزي الوسيط (MB) والعصر البرونزي الحديث (LB) ولعل مزيدًا من أعمال التنقيب الأثري بالمكان يعطي لنا المزيد من المعلومات في المستقبل القريب. وقد يكشف لنا عن تلك المواد الأثرية التي لم يعثر عليها من مواقع قطر الأثرية خاصة الأختام بمختلف أنواعها أو عن عمائر دينية.

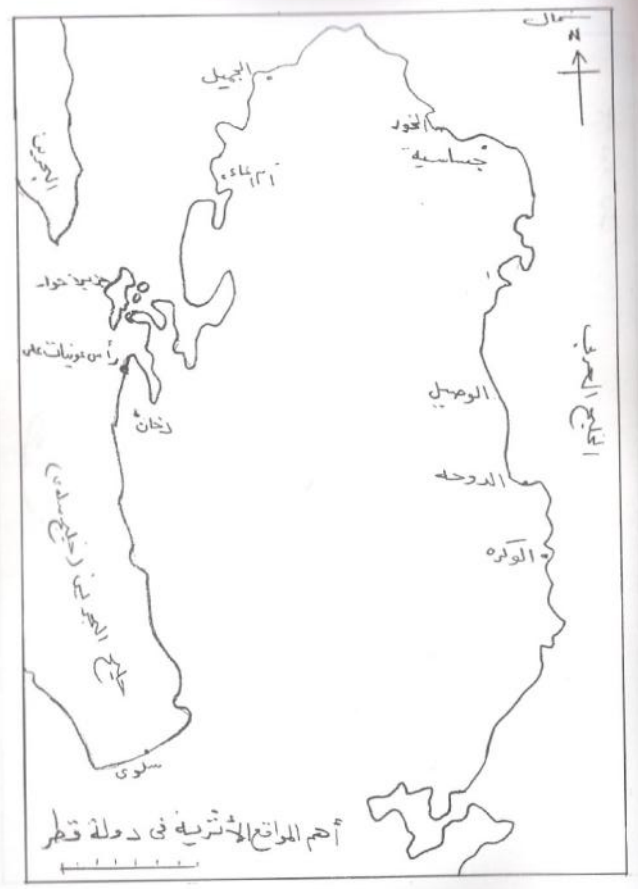

خريطة (١٠)

أهم المواقع الأثرية في قطر

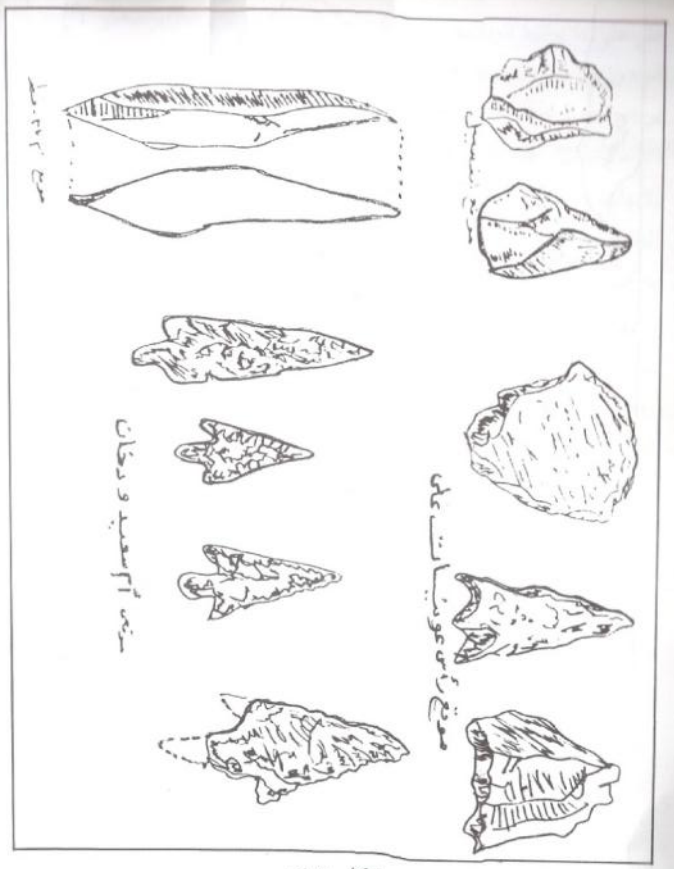

شكل (١٨)

نماذج مختلفة لحضارات العصر الحجري – قطر

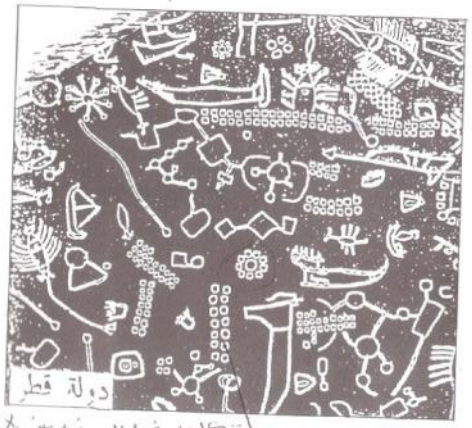

شكل (١٩)

الرسوم الصخرية – قطر

الفصل السادس
حضارات دولة البحرين

الفصل السادس

حضارات دولة البحرين

تقع جزيرة البحرين في منتصف الطريق الملاحي عبر الخليج العربي ما بين دلتا نهري دجلة والفرات شمالاً، وإلى مضيق هرمز جنوبًا. وكانت جزيرة البحرين معروفة للأثريين ولنهابي المقابر على أنها "جزيرة الموتى"[1]. وتغطي عدد لا يحصى من التلال الأثرية الحاوية للمقابر (حوالي مائة ألف قبر) رمال الجزيرة الصفراء والذي دفع البعض إلى القول بأن جزيرة البحرين لم يكن بها أثر أحياء، وأنها كانت مجرد مكان للدفن للأحياء المقيمين على أرض ساحل الجزيرة العربية ذاتها، والتي أبانت حفائر متحف ما قبل الإنسان الدانمركي عن عدم صدقها[2].

وتتكون البحرين من مجموعة من الجزر تبلغ ٣٣ جزيرة أكبرها جزيرة البحرين وهي أكثر جز الأرخبيل، إذ يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٣٠ ميلاً كما يبلغ عرضها من الشرق إلى الغرب ١٠ أميال تقريبًا، وتبعد عن ساحل المملكة العربية السعودية ١٢ ميلاً تقريبًا، بينما تبعد عن إيران ١٨٠ ميلاً تقريبًا. وتقع جزر البحرين على خط طول ٥٠ درجة شرقًا وخط عرض ٢٦ درجة شمالاً، وتبلغ مساحتها ٦٠٠ كيلومترا مربعًا تقريبًا[3]. (انظر خريطة رقم ١١).

وترتفع الأرض في وسط جزيرة البحرين لتشكّل تلال دخان التي يصل ارتفاعها إلى ٤٥٠ قدمًا فقط. أما غرب وجنوب البلاد فهما أراضي منخفضة ذات سهل رملي تنتشر عليه المستنقعات الملحية. ولقد توافرت المياه العذبة في القسم الشمالي من أرض جزيرة البحرين الذي ضم العيون والآبار[4]. كما تتدفق المياه العذبة في جزيرتي المحرق وستره[5].

ولقد كان إسم البحرين يطلق قديمًا على الساحل الغربي للخليج العربي الممتد من الكويت إلى قطر، كما يشمل جزر البحرين ثم اختصت جزر البحرين بهذا الاسم من قبيل إطلاق العام على الخاص، ويعني الاسم الظاهري: "بحرين" مثنى "بحر" (سورة الفرقان آية ٥٣). ولعل أهم تأويل لهذه التسمية أن هذه المجموعة من الجزر يحيط بها البحر من ناحية وفي جوفها ينابيع مياه عذبة قرب الشاطئ الشمالي للجزيرة الأم (البحرين)، وكذلك حول ساحلها الشرقي والغربي، وتندفع هذه الينابيع متدفقة من جوف البحر، فيشهد الإنسان ملتقى البحرين "العذب والبحر المالح"، ومن حقيقة هذا المشهد الطبيعي الجميل تتخذ هذه الجزر اسمها، فيكون هذا التأويل قريبًا من المقصود في الآية الكريمة: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورا﴾[٦].

ومن أسماء البحرين القديمة أيضًا (أوال) وهو اسم لصنم كبير كانت تعبده قبيلة بكر بن وائل في العصر الجاهلي، وقد سكنت هذه القبيلة البحرين قبيل الإسلام مع قبيلة عبدالقيس، فسميت البحرين باسم ذلك الصنم (وفقًا لما أورده الريحاني، ملوك العرب، الجزء الثاني ص ٢٢٣)[٧]. وكان أول من أطلق اسم "أوال" على جزيرة البحرين وجرى ذكرها وذكر مدينتها الرئيسية (العاصمة) على لسانه هو "ناصري خسرو" في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، كما أطلق على جزئها في المملكة العربية "الإحساء"[٨]. كما أطلق العرب على جزر البحرين "لؤلؤة بحر الزمرد"[٩].

وكذلك من الأسماء القديمة التي أطلقت على جزر البحرين تيلوس Tylos، في النصوص اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر.

ولعل من أهم تلك التسميات التي ارتبطت بالبحرين ما ورد في النصوص السومرية على أنها أرض دلمون وهذا الاسم كان يطلق على البحرين في العصور التاريخية القديمة. كما ورد في بعض الأساطير أنها "جنة عدن على الأرض"[١٠].

كما تشير عديد من النصوص السومرية وخاصة من أسرة أور الثالثة (٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م)، وبصفة خاصة من عهد "أسين لارسا" (٢٠٢٥ – ١٧٦٣ ق.م)، إلى الربط بين دلمون ومجموعة بشرية تدعى "مارتو"[١١]. كما وردت إشارة إليها باسم دلمون في لوحة أورنانش ملك لجش العراقي عام ٢٠٥٢٠ ق.م. وأخيرًا عرفت باسم جزيرة Niduk-ki في النصوص الأكادية وباسم تلمون في النصوص الآشورية[١٢].

كما عُرفت البحرين باسم "جزيرة الموتى" في ارتباط مع كثرة التلال الجنائزية بها، والتي يزيد عددها عن مائتي ألف تل أثري بالمكان. ورجح البعض أن تكون جزيرة البحرين قد استخدمت مكانًا للدفن، يأتي إليه القادمون بموتاهم تبركًا بالمكان، ولقدسيته التي عكستها ما نعرفه من النصوص السومرية القديمة، على أنها "الأرض الموعودة، والجنة التي لا يشيخ فيها إنسان، ولا يمرض ولا يعتدى الذئب فيها على حمل .. إلخ"، من تلك الصفات المثالية للحياة وللعلاقات. وقد جادل البعض في ذلك الاحتمال في استخدام المكان كمركز للدفن لأهل الحضارات المجاورة في ضوء ما كشف عنه من وجود تلال جنازية مشابهة خاصة على الساحل السعودي في شبه الجزيرة العربية، في واحة جبرين ومنطقة الظهران بصفة خاصة، وفي منطقة قطر كذلك. إضافة إلى ذلك فقد عثر في نفس جزيرة البحرين الأم على المظاهر المعمارية الأخرى من إنشاءات مدنية لسكنى إنسان المكان في موقع اللية على الساحل الشمالي من الجزيرة، وكذلك المعابد الدينية الثلاث في

موقع باربار. إضافة إلى ذلك، فإن النصوص السومرية ذاتها برغم توضيحها لقدسية المكان وبارتباطه بالعديد من الأحداث التي حفظتها لنا المصادر الأدبية بصفة خاصة، إلا أنها لم تؤكد لنا وجود أي أمثلة على حالات فعلية لدفن الموتى من أهل حضارات العراق القديم بالمكان على الإطلاق.

الكشوف الأثرية في البحرين

ترتبط أولى الأعمال التنقيبية في مدافن البحرين باسم الضابط البريطاني الكابتن "ديوراند" Durande عام ١٨٧٨ بفتحه لأحد التلال الكبيرة التي تمثل مقبرة، وعام ١٨٩٨ بقيام تيودور بنت T. Bent بالكشف عن بعض هذه المقابر قرب واحة عالي والذي اعتقد في إرجاعها إلى الفينيقيين قبل هجراتهم من الخليج العربي[١٣]. وإن كان لقلة خبرة كل منهما في مجال التنقيبات الأثرية وتعرض معظم القبور التي فتحت لأعمال النهب فيما سبق لم يوفقا في الحصول على عينات أثرية، كما أن أعمالهما لا تسجل شيئًا في الجانب العلمي لأعمال التنقيبات ونتائجها وإن كان ديوراند قد وفق في اكتشاف حجرة بيضاوية الشكل بها كتابة مسمارية تحمل اسم الإله "أنزاك" وهو الإله المحلي لدلون، مما يرجح كونها حجرة أساس تذكارية لبناء أحد المعابد أو القصور في دلون القديمة (البحرين حاليًا)[١٤].

كما عمد الكولونيل بريدو Prideaux عام ١٩٠٦ إلى فتح مجموعة أخرى من مدافن البحرين (حوالي ٦٧ تلاً أثريًا)، وكان منها بعض مدافن منطقة عالي الكبيرة الحجم، وإن كان يؤخذ عليه ما أخذ على بنت وديوراند[١٥]. وتمثل أعمال أرنست مكاي Machay في حفر مجموعة قبور البحرين (حوالي ٣٤ تلاً على مقربة من واحة عالي) عام ١٩٢٥ بداية الأعمال التنقيبية العلمية في الخليج العربي وذلك بقيامه برسم مخططات ووصف موجودات تلك المقابر وإن لم يوفق مثله في ذلك مثل زميليه السابقين في تعيين المستوطنات السكنية القديمة لأهل البحرين فدفعهم ذلك للاعتقاد بأن

جزيرة البحرين اعتمدت مكانًا للدفن من قبل سكان الأرض العربية المجاورة[١٦].

وفي عام ١٩٤٥ – ١٩٤٦ كشف كورنوال Cornwall عن ٣٠ تلاً، وعثر فيها على رؤوس حراب من البرونز وأدوات من العاج، وأنواع من الفخار، كما عُثر على اثنى عشر هيكلاً إنسانيًا تمت إلى عنصر يتميز بعظامه الدقيقة ورؤوسه الطويلة[١٧].

كما كشفت أعمال حفائر البعثة الدانمركية للآثار من متحف آثار ما قبل التاريخ في أرهوس بدءًا من عام ١٩٥٣ بالبحرين عن آثار عديدة ترجع إلى عصور حضارية مختلفة حيث عثر على أدوات ظرانية وأدوات العصر ما قبل التاريخي على جبل الدخان والمنطقة الصحراوية وحتى مراحل زمنية معاصرة للحضارة السلوقية الهلينيستية والحضارة البارثية وإن تخللتها أحيانًا فترات إنقطاع لعوامل مختلفة[١٨]، وكشفت أعمال حفائر نفس البعثة عن عشرات الآلاف من المقابر والتي توزعت على طول ساحل البحرين وتنوعت في أحجامها وأشكالها المخروطية والمستطيلة وفي ارتفاعها ما بين المتر والستة أمتار[١٩]، والتي تؤرخ من العصر البرونزي فيما يبدو فيما قبل ١٠٠٠ سنة ق.م، والتي أبانت بقايا الأشياء الذهبية والنحاسية والعاجية عن ثراء أهل المكان[٢٠]. كما أبانت أعمال البعثة عن أطلال معابد باربار بمستوياتها الثلاث المتعاقبة وبعض عناصرها الحضارية الباقية والتي حدت البعض إلى اعتبار تلك الحضارة بجزيرة البحرين أهم فتراتها الحضارية[٢١]. (انظر شكل ١٩).

كما قامت وزارة التربية بدءًا من عام ١٩٧٥ في موقعي الحَجَر والشاخورة الواقعة في نفس جزيرة البحرين الأم في الجهة الشمالية الغربية

منها بالكشف عن مقابر مستديرة صغيرة تنتمي لطوائف اجتماعية مختلفة يحتمل إرجاعها إلى ما يعاصر العصر الكاسي في العراق وما يعاصر العصر السليوقي ويعكس تأثر البحرين بحضارات بلاد الرافدين، حيث عثر على أختام اسطوانية وفخار يعود إلى الفترة من ١٨٠٠ إلى ١٢٠٠ ق.م. مشابه لأختام وفخار بلاد الرافدين من نفس تلك الفترة. كما عُثر على فخار من الفترة الأشورية حوالي ٨٠٠ ق.م، وفخار وأختام من فترة العهد البابلي الجديد (الكلداني) حوالي (٧٠٠ – ٦٠٠ ق.م)، ومن نفس الفترة عُثر على سيف مصنوع من الحديد يبلغ طوله ٧٥ سم، ذو مقبض مغطى بالخشب يعتبر أول سيف مكتشف في البحرين[٢٢]. ولقد كانت تلك المقابر في موقعي الحجر والشاخورة مكسية الجوانب الداخلية غالبًا بملاط ويعلوها قطع حجرية، ويؤدي إلى مداخلها درجة كبيرة أو أكثر من درجة[٢٣].

كما قامت بعثة إنجليزية خلال فصلي شتاء ١٩٧٣ وربيع ١٩٧٥ في موقع المرخ الواقع حوالي ١٤٠٠ متر من الساحل الغربي لجزيرة البحرين والتي أبانت عن وجود دورين حضاريين من السكنى بالموقع إعتمد أولاهما على الصيد وجمع اللؤلؤ في حين اعتمد ثانيهما على الصيد ورعي الماعز. وأرخ الدور الحضاري الأول اعتمادًا على الفخار إلى ٣٨٠٠ ق.م، والمتشابه في مراحل له مع مرحلة ما بعد الفخار العبيدي (Post - Ubaid Pottery)، في بلاد الرافدين، في حين أن فخار الدور الحضاري الثاني لم يؤرخ بتحديد[٢٤].

كما قامت بعثة عربية بإشراف معاوية إبراهيم فيما بين الأعوام ١٩٧٧ إلى ١٩٧٩، بالحفر في موقع سار – الجسر الواقع على طريق الجسر الجديد الذي يربط بين البحرين والمملكة العربية السعودية، والتي كشفت عن أكبر حقول مدافن على أرض البحرين. وهي عبارة عن تلال تبعد عن بعضها البعض في المناطق الكثيفة من ٢ – ٨م، ويبلغ ارتفاعها نصف متر

ويصل أحيانًا إلى حوالي ٤م، ويتراوح قطرها من الأسفل ٣ متر ليصل ٢٥ مترًا على أقصى حد. وغالبيتها ما بين ٦–١٠ متر، وتأخذ المدافن في أغلب الأحيان هيئة قبة نتيجة لكيفية بنائها ونتيجة لعوامل التعرية[٢٥]. (انظر شكلي رقما ٢٠–٢١).

ويمكن تصنيف المدافن إلى خمس مجموعات صنفت كل واحد منها حسب معالم العمارة الجنازية من ناحية، وعلاقة الواحدة مع الأخرى من ناحية أخرى وهي على النحو الآتي: تل بمدفن واحد فوق سطح الأرض، تل بمدفن واحد مقطوع في الصخر، تل بمدفن رئيسي يتصل بمدافن جانبية، تل بمدفن رئيسي يتصل بساحة، وأخيرًا مدافن مترابطة[٢٦]. ويبدو أن أعداد هذه المدافن لم يكن ليتم إلا عن طريق سلطة مركزية معينة غالبًا ما تكون ذات طابع ديني، وتخلو جميع المدافن من النمط المعماري الأخير من العظام، إلا أنه وجد في بعضها كسر فخارية وجرار بأشرطة ملصقة على سطحها الخارجي (شكل ٢٢)[٢٧]، وعن بقايا لسلال من سعف النخيل المغطاة بالقار، بالإضافة إلى بعض الأصداف البحرية الصغيرة وكسر لأدوات من البروتز مما يدل على أن المدافن كانت مزودة بمرفقات جنازية لكن عدم استعمالها يثير الدهشة. كما عُثر بالمدافن على أواني من الحجر الصابوني (شكل ٢٣)، ورؤوس سهام وحراب وخناجر برونزية (شكل ٢٤)، وبعض الأختام الصدفية (شكل ٢٥)[٢٨].

وأخيرًا يجب الإشارة إلى ما يقوم به القائمون على أمور الدولة في البحرين بالاهتمام بالبحث عن أصول البحرين كما انعكس في المؤتمر العالمي "ندوة البحرين عبر التاريخ"، والذي عُقد عام ١٩٨٤، وقدمت فيه العدد من الأبحاث تتعلق بالعصور القديمة والعصر اليوناني ووصولاً إلى تاريخ البحرين الحديث، أشار بعضها إلى ضرورة البحث عن عملية التكيف الملاحي لإنسان

المنطقة، ودراسة رسوم الحيوانات في البحرين، وآلهة دلمون، وارتباط تلك الحضارة مع حضارة السند في الألف الثالث ق.م[٢٩].

وقد لعبت البحرين دورًا هامًا بحكم موقعها في الخليج العربي وما جاوره من حضارات، وعكست النصوص من ميزوبوتانيا دلائل متنوعة عن حركة اتصال تجاري مكثف من وعبر البحرين في العصور القديمة، وأوضحت نصوص سرجون الأكدي – بصفة خاصة – ونارام سين من الألف الثالث ق.م، عن إستيراد العديد من الموارد الاقتصادية المرغوب فيها من صوف ونحاس وعاج وذهب وأخشاب جيدة وأحجار كريمة، وعن وصول سفن عدة إلى موانئ جنوب العراق خاصة في أور محملة بتلك الأصناف[٣٠]. (انظر خريطة ٢).

ومع بدايات تفتح حضارة دلمون في البحرين في الألف الثالث ق. م. بدأت تظهر إلى الوجود شواهد الحياة الحضارية المستقرة والمتطورة متمثلة في المدينة والمستوطنات (مثلما نعلم من المواقع المدنية في قلعة البحرين وديراز)، ومن وجود منشآت دينية مازالت الدلائل الأثرية شاهدة عليها في مواقع معابد باربار ودراز وعين أم السجور وسار، وعن وجود العديد من الأدوات للإستعمالات الشخصية مثل الأواني الفخارية والأختام المعروفة اصطلاحًا باسم "الأختام الدلمونية"، والتي تعددت الموضوعات المصورة عليها من رسوم للحيوان والطيور وبالمثل الأشكال البشرية بملابس سومرية الطابع ومعها أدوات ترتبط بصلة اتصال حضاري مع بلاد السند والرافدين، وبالمثل عُثر على عديد من التماثيل البشرية والدمى الحيوانية وبعض الأسلحة وعشرات المئات من المدافن المتعددة الأشكال والتي يستنبط منها ومن البقايا الأثرية بها عن وجود فكر ديني مبكر لأهل المكان[٣١]. (انظر شكل ٢٦).

وترجع أقدم الدلائل الأثرية في جبل الدخان إلى العصور الحجرية القديمة حيث عثر بالمكان على العديد من الأدوات الصوانية ورءوس الأسهم والمكاشط والشظايا المصقولة وبالمثل من موقع الرمامين[٣٢].

كما كشفت الدلائل الأثرية من موقع المرخ عن وجود العديد من الأدوات الفخارية ذات الأصل العبيدي، وأيضًا محار مما يستنبط منه وجود علاقات وروابط اتصال حضاري مبكر لأهل المكان مع حضارات بلاد الرافدين خلال تلك الفترة المبكرة من العصر الخالكوليثي[٣٣]. (انظر شكل ٢٧).

ولعل أهم ما يميز حضارة البحرين هو ما تخلف عنها من تلال جنازية تتشابه في شكلها مع بعض المقابر في شرق السعودية وفي سلطنة عمان. ويتراوح عدد تلك المقابر (التلال الجنازية)، ما بين ١٧٥ إلى ٢٠٠ ألف مقبرة، وقد اختلف التخطيط المعماري لهذه المقابر، وأثار وجود مثل هذا العدد من المقابر التساؤل عن استخدام المكان بالفعل للدفن في ضوء عدم العثور على هياكل عظمية إلا في القليل منها، وكذلك رداءة وعدم ثراء البقايا الأثرية المصاحبة لتلك الهياكل العظمية.

ويمكن تلخيص ما توصلت إليه نتائج فحص الهياكل العظمية بالتلال الجنازية بالبحرين إلى ما يلي: يؤرخ ما لا يقل عن ١٧٢ ألف تل جنازي تم تحديدها في البحرين إلى ١٥٠ ألف تل من العصر البرونزي (٢٨٠٠–١٨٠٠ ق.م)، وجود نمطين مميزين تتكون فيهما التلال الجنازية من حجرة دفن رئيسية في المنتصف، وأن معظم حجرات الدفن تشتمل على هيكل عظمي واحد، وأن معظم تلك الدفنات تتميّز بوضع الجثة بها ملقاة على جانبها الأيمن، بينما يتجه رأسها ناحية الشمال الشرقي، وأن تلك الهياكل العظمية كانت نصف ممدّدة Semi-flexed . ولوحظ بالمثل وجود

فجوات بحجرات الدفن في الجانب الشمالي أو في الشرقي، ويقتصر وجود مثل هذه الفجوة إذا كانت وحيدة على الجانب الشرقي من حجرة الدفن وفي هذه الحالة يوضع المتوفى على جانبه الأيسر وفي وضع نصف ممدد[٣٤].

وقد عكست دراسة الجماجم من البحرين عن معرفة أهلها لفنون طب الأسنان: خلع الضروس حوالي ٢٠٠٠ ق.م[٣٥].

وتناول جيوفري بيبي وآخرون، مشكلة تفسير وجود مثل تلك التلال بوفرة غير منطقية بالمكان، وعن مدى الربط بين ما أوردته النصوص السومرية من أهمية خاصة للمكان وعن قدسيته ارتبطت به، وعن الجدل في مدى إمكانية قبول فكرة دفن الموتى من حضارة بلاد الرافدين بدلمون من عدمه، وعن أن نمط تلك التلال الجنازية كان محكومًا بعامل استخدام أقل مساحة ممكنة من الأرض التي يبدو أنها بدأت في التناقص آنذاك في ضوء ما كشفت عنه الحفائر من وجود معابد موقع باربار ومما كشفته أعمال البعثة البريطانية والدانمركية من وجود مواقع سكنية ومعبد في موقع أم السجور، وعن الربط بين ما تم الشكف عنه من آبار للمياه وبين صفة القدسية للمكان وإله المياه العذبة وبين حضارات بلاد الرافدين[٣٦].

وينتهي Lamberg - Karlovsky في دراسة له مرتبطة بنفس الموضوع إلى أن النسبة الغالبة من المقابر على أرض البحرين ليس بها دفنات بشرية أو بقايا جنازية أو كلاهما، وعن وجود تناقص واضح بين الثراء الفاحش الذي تعكسه النصوص السومرية وأهمية دلمون التجارية مع غياب مثل هذا الثراء في مقابر دلمون ذاتها[٣٧].

ومن مرحلة ما قبل التاريخ (ما قبل العصر البرونزي المبكر)، عُثر على العديد من الأدوات الممثلة لتلك المرحلة بين مواقع البحرين الأثرية

حيث كُشف عن العديد من الأدوات الحجرية الصوانية – كما سلف الإشارة إلى ذلك – من رءوس سهام ومكاشط وشظايا مصقولة في موقع "جبل الدخان"، وعلى العديد من الأدوات الحجرية في موقع "الرامين"[38].

وتعددت الأنماط الأثرية التي تم العثور عليها من مواقع عدة بجزيرة البحرين تعكس مدى التطور الحضاري لأهل المكان آنذاك حيث نعلم عن فخارها أنه كان مصنوعًا على عجلة الفخراني وبأشكال مستديرة في الوسط عليها خطوط بارزة وذات لون أحمر .. ويلاحظ استخدام نوع من الفخار كمدفن، وفي هذه الحالة كان سميك الجدران، ونو قاعدة سريعة وتطلى الآنية الفخارية من الداخل والخارج بالقار. وكان الجسد متكومًا في القاع. كما لوحظ وجود نمط فخاري آخر يحمل خطوطًا سوداء على أرضية حمراء. كما كشفت الحفائر بالمثل عن وجود ظاهرة مميزة لمواقع الآثار بالبحرين تمثلت في وجود أواني فخارية سبع (عدد ٧)، تشبه المباخر في مظهرها الخارجي وسطحها أملس خال من الحزوز ومن الزخرفة، وارتبط وجودها بمنطقة حرم المعبد مثلما هو الحالً في معبد باربار مما قد يُكسبها أهمية عقائدية.

ومن اللافت للنظر أنه تم العثور على أنماط فخارية أجنبية الأصل بين البقايا الأثرية في البحرين مثلما هو الحال في موقع "المرخ"، حيث كشفت أعمال الحفر من البعثة الإنجليزية عام ١٩٧٥ عن وجود أنماط لأواني فخارية تعكس ثقافة الحضارة العبيدية، وبالمثل عُثر على كسرات فخارية تعود إلى العصر الكاشي (حوالي ١٧٠٠ ق.م) وأخرى من العصر البابلي الحديث في موقعي عالي وسار. وأخيرًا أبانت أعمال متحف البحرين عام ١٩٧٨ في موقع " قرية المقشع" في شمال البحرين عن وجود أواني زجاجية مصنوعة في مدينة الإسكندرية، هيلينية الطابع[39]، تعكس صلة ربط تجاري

تجاري بين الجانبين خلال فترة التوسع البطلمي التجاري في أواخر الألف الأول قبل الميلاد. (انظر شكل ٢٨).

كما عُثر في موقع الحجر على رقائق ذهبية بأشكال مختلفة وعلى مجموعة من الخرز من العقيق وحجر اللازورد، وعلى مجموعة من الأدوات البرونزية عبارة عن خلاخيل وخناجر وبالمثل على مسامير من القصدير والنحاس والفضة، ومساحيق التجميل وعديد من العقود الزجاجية وبعض الأوزان المكعبة من حجر الأستاتيت تتشابه مع تلك من حضارات وادي السند، كما أوضحت البقايا الأثرية استخدام إنسان حضارة دلمون للأواني المصنوعة من الرخام، الأستياتيت والألباستر، وربما كان مصدر تلك الخامات مرتفعات إيران وعمان[40].

وعُثر بالمثل على تمثالين من الحجر الجيري لحيوانين (ثور) يعكسان مدى التقدم في فنون النحت وذلك في موقع ديراز، وعلى تمثال من النحاس لرجل عار يقف على قاعدة منحوتة يبلغ ارتفاعه ١١سم ويداه مضمومتان إلى الصدر يتشابه في أوضاعه تلك المعروفة عن تماثيل بلاد الرافدين، وعلى آخر لطير ربما حمامة من مادة النحاس أيضًا، يبلغ ارتفاعه ١٢,٨سم، وعلى تمثال من مادة التراكوتا لثور وآخر من البرونز لثور، وبالمثال على مقبض لمرآة في شكل أنثوي مشابه لما عثر عليه في موقع ميهي، من حضارة كولي. وأخيرًا عُثر على تمثال من موقع القلعة لامرأة واقفة يتضح من الشكل احتضان شخص آخر من الخلف لها ربما كتمثيل لمفهوم الخصوبة، والذي تردد نظائر له في بعض المناظر المنقوشة على الأختام الدلونية من المكان[41]. (انظر شكل ٢٩).

ويصل أحياناً إلى حوالي ٤م، ويتراوح قطرها من الأسفل ٣ متر ليصل ٢٥ مترًا على أقصى حد. وغالبيتها ما بين ٦–١٠ متر، وتأخذ المدافن في أغلب الأحيان هيئة قبة نتيجة لكيفية بنائها ونتيجة لعوامل التعرية[٢٥]. (انظر شكلي رقما ٢٠–٢١).

ويمكن تصنيف المدافن إلى خمس مجموعات صنفت كل واحد منها حسب معالم العمارة الجنازية من ناحية، وعلاقة الواحدة مع الأخرى من ناحية أخرى وهي على النحو الآتي: تل بمدفن واحد فوق سطح الأرض، تل بمدفن واحد مقطوع في الصخر، تل بمدفن رئيسي يتصل بمدافن جانبية، تل بمدفن رئيسي يتصل بساحة، وأخيرًا مدافن مترابطة[٢٦]. ويبدو أن أعداد هذه المدافن لم يكن ليتم إلا عن طريق سلطة مركزية معينة غالبًا ما تكون ذات طابع ديني، وتخلو جميع المدافن من النمط المعماري الأخير من العظام، إلا أنه وجد في بعضها كسر فخارية وجرار بأشرطة ملصقة على سطحها الخارجي (شكل ٢٢) [٢٧]، وعن بقايا لسلال من سعف النخيل المغطاة بالقار، بالإضافة إلى بعض الأصداف البحرية الصغيرة وكسر لأدوات من البرونز مما يدل على أن المدافن كانت مزودة بمرفقات جنازية لكن عدم استعمالها يثير الدهشة. كما عُثر بالمدافن على أواني من الحجر الصابوني (شكل ٢٣)، ورؤوس سهام وحراب وخناجر برونزية (شكل ٢٤)، وبعض الأختام الصدفية (شكل ٢٥) [٢٨].

وأخيرًا يجب الإشارة إلى ما يقوم به القائمون على أمور الدولة في البحرين بالاهتمام بالبحث عن أصول البحرين كما انعكس في المؤتمر العالمي "ندوة البحرين عبر التاريخ"، والذي عُقد عام ١٩٨٤، وقدمت فيه العدد من الأبحاث تتعلق بالعصور القديمة والعصر اليوناني ووصولاً إلى تاريخ البحرين الحديث، أشار بعضها إلى ضرورة البحث عن عملية التكيف الملاحي لإنسان

المنطقة، ودراسة رسوم الحيوانات في البحرين، وآلهة دلمون، وارتباط تلك الحضارة مع حضارة السند في الألف الثالث ق.م[٢٩].

وقد لعبت البحرين دورًا هامًا بحكم موقعها في الخليج العربي وما جاوره من حضارات، وعكست النصوص من ميزوبوتانيا دلائل متنوعة عن حركة اتصال تجاري مكثف من وعبر البحرين في العصور القديمة، وأوضحت نصوص سرجون الأكدي – بصفة خاصة – ونارام سين من الألف الثالث ق.م، عن إستيراد العديد من الموارد الاقتصادية المرغوب فيها من صوف ونحاس وعاج وذهب وأخشاب جيدة وأحجار كريمة، وعن وصول سفن عدة إلى موانئ جنوب العراق خاصة في أور محملة بتلك الأصناف[٣٠]. (انظر خريطة ٢).

ومع بدايات تفتح حضارة دلمون في البحرين في الألف الثالث ق. م. بدأت تظهر إلى الوجود شواهد الحياة الحضارية المستقرة والمتطورة متمثلة في المدينة والمستوطنات (مثلما نعلم من المواقع المدنية في قلعة البحرين وديراز)، ومن وجود منشآت دينية مازالت الدلائل الأثرية شاهدة عليها في مواقع معابد باربار ودراز وعين أم السجور وسار، وعن وجود العديد من الأدوات للإستعمالات الشخصية مثل الأواني الفخارية والأختام المعروفة اصطلاحًا باسم "الأختام الدلمونية"، والتي تعددت الموضوعات المصورة عليها من رسوم للحيوان والطيور وبالمثل الأشكال البشرية بملابس سومرية الطابع ومعها أدوات ترتبط بصلة اتصال حضاري مع بلاد السند والرافدين، وبالمثل عُثر على عديد من التماثيل البشرية والدمى الحيوانية وبعض الأسلحة وعشرات المئات من المدافن المتعددة الأشكال والتي يستنبط منها ومن البقايا الأثرية بها عن وجود فكر ديني مبكر لأهل المكان[٣١]. (انظر شكل ٢٦).

وترجع أقدم الدلائل الأثرية في جبل الدخان إلى العصور الحجرية القديمة حيث عثر بالمكان على العديد من الأدوات الصوانية ورءوس الأسهم والمكاشط والشظايا المصقولة وبالمثل من موقع الرمامين[٣٢].

كما كشفت الدلائل الأثرية من موقع المرخ عن وجود العديد من الأدوات الفخارية ذات الأصل العبيدي، وأيضًا محار مما يستنبط منه وجود علاقات وروابط اتصال حضاري مبكر لأهل المكان مع حضارات بلاد الرافدين خلال تلك الفترة المبكرة من العصر الخالكوليثي[٣٣]. (انظر شكل ٢٧).

ولعل أهم ما يميز حضارة البحرين هو ما تخلف عنها من تلال جنازية تتشابه في شكلها مع بعض المقابر في شرق السعودية وفي سلطنة عمان. ويتراوح عدد تلك المقابر (التلال الجنازية)، ما بين ١٧٥ إلى ٢٠٠ ألف مقبرة، وقد اختلف التخطيط المعماري لهذه المقابر، وأثار وجود مثل هذا العدد من المقابر التساؤل عن استخدام المكان بالفعل للدفن في ضوء عدم العثور على هياكل عظمية إلا في القليل منها، وكذلك رداءة وعدم ثراء البقايا الأثرية المصاحبة لتلك الهياكل العظمية.

ويمكن تلخيص ما توصلت إليه نتائج فحص الهياكل العظمية بالتلال الجنازية بالبحرين إلى ما يلي: يؤرخ ما لا يقل عن ١٧٢ ألف تل جنازي تم تحديدها في البحرين إلى ١٥٠ ألف تل من العصر البرونزي (٢٨٠٠–١٨٠٠ ق.م)، وجود نمطين مميزين تتكون فيهما التلال الجنازية من حجرة دفن رئيسية في المنتصف، وأن معظم حجرات الدفن تشتمل على هيكل عظمي واحد، وأن معظم تلك الدفنات تتميّز بوضع الجثة بها ملقاة على جانبها الأيمن، بينما يتجه رأسها ناحية الشمال الشرقي، وأن تلك الهياكل العظمية كانت نصف ممدّدة Semi-flexed . ولوحظ بالمثل وجود

فجوات بحجرات الدفن في الجانب الشمالي أو في الشرقي، ويقتصر وجود مثل هذه الفجوة إذا كانت وحيدة على الجانب الشرقي من حجرة الدفن وفي هذه الحالة يوضع المتوفى على جانبه الأيسر وفي وضع نصف ممدد[٣٤].

وقد عكست دراسة الجماجم من البحرين عن معرفة أهلها لفنون طب الأسنان: خلع الضروس حوالي ٢٠٠٠ ق.م[٣٥].

وتناول جيوفري بيبي وآخرون، مشكلة تفسير وجود مثل تلك التلال بوفرة غير منطقية بالمكان، وعن مدى الربط بين ما أوردته النصوص السومرية من أهمية خاصة للمكان وعن قدسيته ارتبطت به، وعن الجدل في مدى إمكانية قبول فكرة دفن الموتى من حضارة بلاد الرافدين بدلمون من عدمه، وعن أن نمط تلك التلال الجنازية كان محكومًا بعامل استخدام أقل مساحة ممكنة من الأرض التي يبدو أنها بدأت في التناقص آنذاك في ضوء ما كشفت عنه الحفائر من وجود معابد موقع باربار ومما كشفته أعمال البعثة البريطانية والدانمركية من وجود مواقع سكنية ومعبد في موقع أم السجور، وعن الربط بين ما تم الشكف عنه من آبار للمياه وبين صفة القدسية للمكان وإله المياه العذبة وبين حضارات بلاد الرافدين[٣٦].

وينتهي Lamberg - Karlovsky في دراسة له مرتبطة بنفس الموضوع إلى أن النسبة الغالبة من المقابر على أرض البحرين ليس بها دفنات بشرية أو بقايا جنازية أو كلاهما، وعن وجود تناقص واضح بين الثراء الفاحش الذي تعكسه النصوص السومرية وأهمية دلمون التجارية مع غياب مثل هذا الثراء في مقابر دلمون ذاتها[٣٧].

ومن مرحلة ما قبل التاريخ (ما قبل العصر البرونزي المبكر)، عُثر على العديد من الأدوات الممثلة لتلك المرحلة بين مواقع البحرين الأثرية

حيث كُشف عن العديد من الأدوات الحجرية الصوانية – كما سلف الإشارة إلى ذلك – من رءوس سهام ومكاشط وشظايا مصقولة في موقع "جبل الدخان"، وعلى العديد من الأدوات الحجرية في موقع "الرمامين"[٣٨].

وتعددت الأنماط الأثرية التي تم العثور عليها من مواقع عدة بجزيرة البحرين تعكس مدى التطور الحضاري لأهل المكان آنذاك حيث نعلم عن فخارها أنه كان مصنوعًا على عجلة الفخراني وبأشكال مستديرة في الوسط عليها خطوط بارزة وذات لون أحمر .. ويلاحظ استخدام نوع من الفخار كمدفن، وفي هذه الحالة كان سميك الجدران، ونو قاعدة سريعة وتطلى الآنية الفخارية من الداخل والخارج بالقار. وكان الجسد متكومًا في القاع. كما لوحظ وجود نمط فخاري آخر يحمل خطوطًا سوداء على أرضية حمراء. كما كشفت الحفائر بالمثل عن وجود ظاهرة مميزة لمواقع الآثار بالبحرين تمثلت في وجود أواني فخارية سبع (عدد ٧)، تشبه المباخر في مظهرها الخارجي وسطحها أملس خال من الحزوز ومن الزخرفة، وارتبط وجودها بمنطقة حرم المعبد مثلما هو الحالُ في معبد باربار مما قد يُكسبها أهمية عقائدية.

ومن اللافت للنظر أنه تم العثور على أنماط فخارية أجنبية الأصل بين البقايا الأثرية في البحرين مثلما هو الحال في موقع "المرخ"، حيث كشفت أعمال الحفر من البعثة الإنجليزية عام ١٩٧٥ عن وجود أنماط لأواني فخارية تعكس ثقافة الحضارة العبيدية، وبالمثل عُثر على كسرات فخارية تعود إلى العصر الكاشي (حوالي ١٧٠٠ ق.م) وأخرى من العصر البابلي الحديث في موقعي عالي وسار. وأخيرًا أبانت أعمال متحف البحرين عام ١٩٧٨ في موقع " قرية المقشع" في شمال البحرين عن وجود أواني زجاجية مصنوعة في مدينة الإسكندرية، هيلينية الطابع[٣٩]، تعكس صلة ربط تجاري

تجاري بين الجانبين خلال فترة التوسع البطلمي التجاري في أواخر الألف الأول قبل الميلاد. (انظر شكل ٢٨).

كما عُثر في موقع الحجر على رقائق ذهبية بأشكال مختلفة وعلى مجموعة من الخرز من العقيق وحجر اللازورد، وعلى مجموعة من الأدوات البرونزية عبارة عن خلاخيل وخناجر وبالمثل على مسامير من القصدير والنحاس والفضة، ومساحيق التجميل وعديد من العقود الزجاجية وبعض الأوزان المكعبة من حجر الأستاتيت تتشابه مع تلك من حضارات وادي السند، كما أوضحت البقايا الأثرية استخدام إنسان حضارة دلمون للأواني المصنوعة من الرخام، الأستياتيت والألباستر، وربما كان مصدر تلك الخامات مرتفعات إيران وعمان[٤٠].

وعُثر بالمثل على تمثالين من الحجر الجيري لحيوانين (ثور) يعكسان مدى التقدم في فنون النحت وذلك في موقع ديراز، وعلى تمثال من النحاس لرجل عار يقف على قاعدة منحوتة يبلغ ارتفاعه ١١سم ويداه مضمومتان إلى الصدر يتشابه في أوضاعه تلك المعروفة عن تماثيل بلاد الرافدين، وعلى آخر لطير ربما حمامة من مادة النحاس أيضًا، يبلغ ارتفاعه ١٢,٨سم، وعلى تمثال من مادة التراكوتا لثور وآخر من البرونز لثور، وبالمثال على مقبض لمرآة في شكل أنثوي مشابه لما عثر عليه في موقع ميهي، من حضارة كولي. وأخيرًا عُثر على تمثال من موقع القلعة لامرأة واقفة يتضح من الشكل احتضان شخص آخر من الخلف لها ربما كتمثيل لمفهوم الخصوبة، والذي تردد نظائر له في بعض المناظر المنقوشة على الأختام الدلونية من المكان[٤١]. (انظر شكل ٢٩).

كما أبانت أعمال الحفائر بالمكان عن وجود معابد ومقابر، وعن ارتباط عقائدي لمعابد البحرين بمفهوم عقيدة "المياه العذبة" وفي تشابه مع ما لوحظ من قبل من جزيرة فيلكا الكويتية. ويلاحظ أن الأربع معابد بموقع باربار يعود اثنان منهما في التصميم إلى التاثير السومري، بينما المعبد الثالث مهشم وبتصميم مختلف، والمعبد الرابع والأخير أو ما يسمى المعبد الشمالي الشرقي N.E.Temple فله محور مختلف ويعود في طرز تصميمه إلى أواخر العصر الأكادي[٤٢].

وقد دلت الاكتشافات الأثرية بالبحرين من العثور على المزيد من تلك الأختام الدائرية المميزة لحضارات الخليج العربي ومركزها في جزيرة البحرين (دلمون)، وقد دعمت دراسات بورادا لتلك الأختام من المكان وغيره عن وجود صلات تشابه في مضمونها وزخارفها وموضوعات نقوشها مع تلك الأختام الأسطوانية من بلاد الرافدين ومن سوريا. وقد دعمت الاكتشافات الأثرية الأخيرة عن العثور على أختام لحضارات السند المربعة الشكل في مدينة أور العراقية، وبالمثل العثور على الأختام الدلمونية في موقع لوثال Lothal بالهند. ولعل ما تم العثور عليه من مواد أثرية لها صلة ارتباط حضاري بين البحرين والسند ما يدعم مثل ذلك، وأن البحرين فيما يبدو لعبت دورًا هامًا في المبادلات التجارية بين حضارات السند وبلاد ما بين النهرين آنذاك وكان لها صلات حضارية بالمثل مع حضارة سوسة الإيرانية ومع حضارة ماري السورية كذلك[٤٣].

ولعل ما حفظته النصوص السومرية من إشارات متعددة إلى مناطق دلمون (البحرين)، وماكان (عُمان أو سهل مكران) وملوخا (السند)، وما كانت تقدمه من موارد اقتصادية محلية الإنتاج أو عبر موانيها ما يوضح مدى أهمية تلك المكانة المميزة لحضارات دلمون آنذاك[٤٤].

إضافة إلى ما سبق من آثار عديدة متنوعة من المواقع الأثرية بجزيرة البحرين، تجدر الإشارة إلى ما عثرت عليه بعثة الآثار العربية التي قامت بالتنقيب في منطقة كرزكان عام ١٩٧٨ من العثور ضمن بقايا آثار مقبرة كبيرة بالمكان على ختم (خنفس) (جعل) مصري أسود Scarab مدونًا عليه نصوص هيروغليفية تعود في تاريخها إلى العهد البابلي الأخير. كما عُثر على جعران (جعل) مصري آخر بواسطة بعثة متحف البحرين في مقبرة بموقع "عال" عام ١٩٧٨[٤٥].

الفصل السابع
دولة الإمارات العربية المتحدة وآثارها

الفصل السابع
دولة الإمارات العربية المتحدة وآثارها

تتكون دولة الامارات العربية المتحدة حاليًا من سبع إمارات، تطل ستة منها على الخليج العربى وهى: أبوظبى، دبى، الشارقة، عجمان، أم القوين، ورأس الخيمة، أما الإمارة السابعة وهى الفجيرة فتطل على خليج عمان. وتشغل هذه الدولة الجديدة مساحة من الأرض تبلغ ٨٣,٦٠٠كم٢[١]. ويغلب الطابع الصحراوى على معظم مساحة المكان. وبالرغم من ذلك فان هناك بعض المساحات الخضراء الزراعية والواحات والأراضى الرعوية تتمحور بصفة أساسية في المنطقة الشرقية بالقرب من العين ومع الحدود السياسية مع سلطنة عمان، وبالمثل في المنطقة الشمالية الشرقية بالقرب من الفجيره والذيد، وحتى شعم في اقصى الامتداد السياسى للدولة في القطاع الشمالى الغربى على الخليج العربى. إضافة إلى ذلك توجد بعض السبخات على إمتداد الساحل على الخليج العربى وفي المنطقة الغربية إلى الجنوب من جبل الظنة وما يليه غربًا باتجاه قطر.(انظر خريطة رقم ١٢).

أعمال الكشف الأثرى :

ركزت البعثة الدانمركية للآثار أعمالها في منطقة أبوظبى في جزيرة أم النار التى قيل أنها اكتسبت إسمها من كثرة ما وجد بها من أحجار كانت تستخدم محكات لايقاد النار. وجزيرة أم النار جزيرة صخرية يفصلها عن اليابسة مضيق ضيق تم ردمه حاليًا. وقد وسعت البعثة الدانمركية اعمالها في مرحلة تالية إلى منطقة العين وحفيت وقرية هيلى[٢].

عثر على ٢٣ آنية فخارية كاملة وآنية واحدة من حجر الاستياتيت الأخضر، وقاعدة لآنية من حجر الالباستر إضافة إلى ٦٥٠ قطعة من الخرز، قصيرة وذات شكل انبوبي من حجر اخضر في معظمها[٧] . (انظر شكل رقم ٣٠).

ويتميز فخار "أم النار" بأنه مصنوع بواسطة "عجلة الفخراني" ومادته من الطين الناعم، وبعض الأوانى مصنوعة من الطين المخلوط بالرمل وخاصة تلك الأوانى الفخارية الخشنة والكبيرة ويتراوح ارتفاع الأوانى الصغيرة من ١٠، – ١٢، سم وقد يصل ارتفاع بعضها إلى ٦٠، سم، وهذه الأوانى تكون رقابها قصيرة وحوافها مائلة إلى الخارج. وتأخذ الأوانى شكلا كرويا أو شكل مزهرية بجسم مخروطى، ولهذه الأوانى قواعد عريضة. وجميع الأوانى الفخارية ما عدا الكبيرة والخشنة تحمل زخرفة مطلية، وتقتصر تلك الزخرفة على الجزء العلوى من الآنية، وأحيانا تغطى الآنية كلها. وقد تمتد الزخرفة إلى داخل الحواف المائلة إلى الخارج وتتألف الزخرفة من خطوط تطلى بلون أسود على ارضية رمادية اللون، وأحيانا تطلى بلون غامق على أرضية حمراء وتأخذ الخطوط أشكالاً منها المائل أو شبه الدائرى، أو مثلث أو قد تكون في صفوف، وتكرر الخطوط بينما يفصل بينها خطوط أفقية من أعلى ومن اسفل، وتحمل بعض الأوانى أشكالا حيوانية مطلية[٨] . وقد أرخ "بيبى" هذا الفخار بالألف الثالث ق.م لتشابهه مع فخار حضارة كولى في جنوب بلوخستان في وادى السند، وبصفة خاصة في الشكل ونمط الزخرفة[٩] .

وقد ظهرت شواهد أربعة مراحل للعمران في موقع "أم النار" مكونة من محلات قديمة ذات مساكن منوعة، ذو هندسة معمارية معقدة، ووجدت بها أعداد كثيرة من رجم المقابر المستديرة الفردية والاسرية، أقدمها يعود إلى الألف الثالث ق.م (انظر شكل رقم ٣١). وبنى أكبرها بالحجر عثر بها على هياكل عظمية، وصورت مناظر إبل وماشية، وأفاعى على مداخلها، ربما في

وبالإضافة إلى أعمال البعثة الدانمركية، قام المنقبون الفرنسيون بمواصلة أعمال الحفر الأثرى استكمالا لأعمال البعثة الدانمركية، وبصفة خاصة في منطقة جبل حفيت وذلك خلال الموسم الأول ديسمبر ١٩٧٦ إلى مارس ١٩٧٧ [٣]، ثم في موقع هيلى ٨ منذ عام ١٩٧٧ بالتعاون مع إدارة الآثار والسياحة في العين[٤].

كما شاركت بعثة للمسح الآثارى من العراق في كشف بعض المواقع الأثرية بدولة الامارات العربية عام ١٩٧١، وخاصة موقع جبل الظنة بما يشتمل من بقايا مقبرة صغيرة مؤلفة من اثنى عشر مدفنا تتشابه مع مقابر أم النار، وعثر بها أيضًا على فخار أحمر (قطعة واحدة)، وصدفة بحرية، وكمية من العظام الآدمية. كما قامت بعثة أثرية عراقية أخرى بالكشف عن بقايا آثار العصر الهلينستى في المليحة إلى الجنوب الشرقى من الشارقة وكذلك في موقع آخر من العصر البرونزى المتأخر في القصيص. كما شاركت بعثة أثرية فرنسية بالتعاون مع ادارة الآثار والسياحة بالعمل في موقع العين بدءًا من عام ١٩٧٧ [٥].

كما أبانت جهود البعثة الوطنية عن مزيد من المدافن القديمة التى عثر على بعض أحجار مقابرها رسوم هيئات بشرية وحيوانية ومناظر صيد، وعلى آثار منقولة من اوان وكسر فخار ذو زخارف محلية وأحيانًا أجنبية

كما يجدر بالقول أيضا ما تم الكشف عنه حديثا في موقع أم القوين عن آثار لفخار عبيدى بدولة الامارات العربية المتحدة [٦].

ولقد تضمنت مدافن جزيرة أم النار أثاثًا جنازيًا اشتمل على أوانى فخارية وأوانى حجرية واسلحة برونزية وأدوات زينة، كما عثر على بعض الكسر الفخارية طلاء من نوع خفيف أسود على أرضية حمراء أو رمادية، كما

وبالإضافة إلى أعمال البعثة الدانمركية، قام المنقبون الفرنسيون بمواصلة أعمال الحفر الأثرى استكمالا لأعمال البعثة الدانمركية، وبصفة خاصة في منطقة جبل حفيت وذلك خلال الموسم الأول ديسمبر ١٩٧٦ إلى مارس ١٩٧٧ [٣]، ثم في موقع هيلى ٨ منذ عام ١٩٧٧ بالتعاون مع إدارة الآثار والسياحة في العين[٤].

كما شاركت بعثة للمسح الآثارى من العراق في كشف بعض المواقع الأثرية بدولة الامارات العربية عام ١٩٧١، وخاصة موقع جبل الظنة بما يشتمل من بقايا مقبرة صغيرة مؤلفة من اثنى عشر مدفنا تتشابه مع مقابر أم النار، وعثر بها أيضًا على فخار أحمر (قطعة واحدة)، وصدفة بحرية، وكمية من العظام الآدمية. كما قامت بعثة أثرية عراقية أخرى بالكشف عن بقايا آثار العصر الهلينستى في المليحة إلى الجنوب الشرقى من الشارقة وكذلك في موقع آخر من العصر البرونزى المتأخر في القصيص. كما شاركت بعثة أثرية فرنسية بالتعاون مع ادارة الآثار والسياحة بالعمل في موقع العين بدءًا من عام ١٩٧٧ [٥].

كما أبانت جهود البعثة الوطنية عن مزيد من المدافن القديمة التى عثر على بعض أحجار مقابرها رسوم هيئات بشرية وحيوانية ومناظر صيد، وعلى آثار منقولة من اوان وكسر فخار ذو زخارف محلية وأحيانًا أجنبية

كما يجدر بالقول أيضا ما تم الكشف عنه حديثا في موقع أم القوين عن آثار لفخار عبيدى بدولة الامارات العربية المتحدة [٦].

ولقد تضمنت مدافن جزيرة أم النار أثاثًا جنازيًا اشتمل على أوانى فخارية وأوانى حجرية واسلحة برونزية وأدوات زينة، كما عثر على بعض الكسر الفخارية طلاء من نوع خفيف أسود على أرضية حمراء أو رمادية، كما

ارتباط مع نوع من العقيدة الخاصة بتقديس الثعابين خاصة اذا أخذ في الاعتبار تواجد العديد من الثعابين على اختام جزيرة فيلكا والبحرين[١٠]، كما عثر بداخل بعضها على أوان وخرز وخناجر وادوات للزينة[١١] وتعتبر مدافن هيلى من أروع أبنية المدافن الخليجية شكلا وعمارة[١٢]، ويحتمل أن أهل جزيرة أم النار القدامى اخذوا في بعض عصورهم بتضحية الاتباع حين دفن ساداتهم وفقا لما يقترحه ثور فيلدزن"[١٣] (انظر شكل رقم ٣٢).

وقد عكس الثراء الذى دلت عليه الموجودات الأثرية بالمكان أهمية موقع جزيرة أم النار على خطوط الملاحة الدولية عبر الخليج ومدى استفادتها من هذا الموقع وفي اتصال مع المراكز الحضارية المجاورة في بلاد الرافدين وحضارة السند.

ويمثّل موقع ليس ببعيد عن قرية هيلى الحالية إلى الشمال من البريمى أهمية خاصة في تاريخ دولة الامارات العربية المتحدة القديم، وكشفت الآثار بالمكان عن تطوّر حضارى واضح لسكان المكان القدامى. وكشف عن منشآت معمارية في منطقة البريمى إلى الشرق من هيلى شبيهة لتلك من أم النار.(انظر خريطه ١٣ ب)

أما فخار **هيلى في (البريمى)** فيتميز بتواجد إفريز يحمل رسومات بقر الوحش أو ماعز باللون الأسود، كما عثر في موقع هيلى على كسر لأوانى من حجر الاستياتيت وعلى أوانى فخارية تحمل زخارف تمثل في خطوط أو حزوز متقاطعة أو مائلة، ويشبه هذا النوع من الزخرفة تلك الزخارف التى تتواجد على حجر الإستياتيت المعروف من بلاد ما بين النهرين إلى وادى السند[١٤] (شكل ٣٣).ويتميز فخار موقع هيلى بأنه من النوع الخفيف، مطلى باللون الأسود، كما عثر في موقع هيلى على اسلحة برونزية من المحتمل انها كانت تدفن مع المتوفى[١٥]، وباطلاق فان الأوانى الفخارية التى عثر عليها

في أم النار وفي هيلى تشير إلى تأثيرات وادى السند كما تشير الزخارف إلى التأثيرات التى جاءت من الشمال من بلاد الرافدين أيضا[١٦] . ويتضمن قاعات متحف العين بعض النماذج الفخارية من هيلى خاصة الجرار الكبيره التى عليها نقوش كالماعز، وكذلك بعض الأختام السومرية، ومجموعة من الخرز المصنوع من العقيق[١٧] (انظر شكل ٣٤).

كما عثر على نقوش صخرية في المنطقة الشمالية من رأس الخيمة قرب رأس شعم[١٨] وبالمثل في وادى حجيل حيث عثر على نقوش صخرية تمثل راكبى الجياد. وتدل النقوش التى عثر عليها على أن إنسان المنطقة قد توصل الى مرحلة التعبير بالرسم إما لاغراض دينية أو لاغراض الزينة التى تغطى جدران منازله أو مدافنه[١٩] .

كما عثر في قطاره في مدينة العين إلى الغرب من منطقة هيلى الأثرية على بعد نحو خمسة كيلو مترات ضمن الواحة المعروفة باسم واحة البريمى حيث يكثر المزارع والبساتين بالمكان نظرًا لوفرة المياه وبالمثل في مواقع أخرى في إمارة الخيمة على ما يدل على حضارة الألف الثانى ق.م (٢٠٠٠ – ١٧٠٠ ق.م)[٢٠] (انظر خريطة ١٣ ب). ولعل من أهم النماذج الحضارية التى عثر عليها بالمكان كذلك الأوانى الحجرية والأسلحة البرونزية والحلى الذهبية (الدلايات) والمعروض بعضها حاليا في متحف العين. وقد بادرت دائرة الآثار بالعين باجراء العديد من التنقيبات الأثرية بالمكان وعثر على العديد من القطع الأثرية منها أسلحة برونزية في إحدى الغرف، وجرة صغيره، ومجموعة من الخرز المنفذ بأشكال ومواد مختلفة واناء فخارى أسود اللون إلى جانب بعض البقايا العظمية. وتتشابه اللقى الأثرية مع ما عثر عليه في هيلى خاصة أوانى الستياتيت وتعود كلها إلى منتصف الألف الثالث ق.م[٢١] .

كما عثر على بعض مواقع تعود إلى الألف الأول ق.م/ العصر الحديدى خاصة بعض مناطق رأس الخيمة في الشمال وحتى مدينة العين في الجنوب وبعض مواقع ساحل الخليج العربى وساحل خليج عمان.[٢٢] ولعل أهم مايرتبط بحضارة الألف الأول ق.م (العصر الحديدى) استخدام نظام الأفلاج على نطاق واسع. والفليج معناه في الفارسية "قناة"، وهو سيل مياه تحت الأرض ينزح المياه من مستوى الماء الجوفى عند قاعدة جبل، ثم يخرج فيما بعد إلى الأرض. ثم يوزع الماء بواسطة قنوات مفتوحة. والمعتقد أن هذا النظام فارسى النشأة في عهد الأخمينيين.[٢٣] وتمثلت بعض مواقع العصر الحديدى في مناطق بديع بنت سعود، غناصة، والرميلة بصفة خاصة.

وتقع **جزيرة غناصة** على بعد ٤٥ كم إلى الشمال الشرقى من جزيرة أم النار، ويبلغ طولها نحو ٤ كيلومتر وعرضها يتراوح ما بين ٢ – ٢,٥ م. وتتوزع المخلفات الأثرية بالجزيرة بصفة خاصة في ثلاث مواقع على امتداد الساحل الغربى لها يرجح تأريخها من الألف الثالث قبل الميلاد.[٢٤] (انظر خريطة ١٢). كما عثر بالمكان على فخار أم النار الموازى في الشكل لفخار تبة يحيى الايرانى، وفخار عراقى من الألف الثالث ق.م، ومواد نحاسية ربما كانت مصهوره في جزيرة أم النار، وبقايا عظمية للأسماك والأغنام والماعز والجمل الوحشى. كما أنه من الجدير بالذكر وجود بعض الدلائل الأثرية المرجح تأريخها من الألف الأول ق.م (العصر الحديدى).

أما موقع **بديع بنت سعود** فهو على بعد ١٢ كم إلى الشمال من هيلى، وهو عبارة عن مرتفع صخرى يبلغ طوله ٨٠٠ م وأعرض نقطة منه ٢٠٠ م وبإرتفاع يتراوح بين خمسه وست أمتار. وقام بالعمل به البعثة الدانمركية وكان من بين أهم ما كشفت عنه بالمكان أوان وفأس يدوية ومجموعة من رءوس السهام البرونزية ومجموعة من الخرز المصنوع من

الصدف والعقيق إلى جانب صفائح رقيقه من الذهب وأوانى من الستياتيت وأقراط ذهبية تعود في معظمها إلى مطلع الألف الأول ق.م.[٢٥]

كما عثر في **موقع رميلة** بالقرب من العين (خريطة ١٢) على بقايا معمارية وقطع فخارية ورأس رمحين من البرونز وفخار يعود إلى العصر الحديدى وأبنية مشيدة من الطين المجففّ بالشمس ورصفت أرضياتها من الطين المدكوك والعديد من الدمى الطينية وأختام مسطحة تعتبر فريدة في نوعها وعدد كبير من الخرز المصنوع من الحجر والذهب.[٢٦]

كما عثر في **موقع القصيص** إلى الشمال الشرقى من دبى وعلى بعد ثلاثة عشر كيلو مترا منها (خريطة ١٢) ضمن نتائج أعمال البعثة الأثرية العراقية على عدة تلول جصية متباعدة ومتباينه في الارتفاع والمساحة، وبعض الكسر الفخارية والأوانى الصابونية (الستياتيت) وأوانى برونزية ونحاسية وأعداد كثيرة من السهام البرونزية تعود في تأريخها إلى نهاية الألف الثانى ومطلع الألف الأول قبل الميلاد.[٢٧] ويتضمن متحف العين ودبى مجموعة من تلك الأوانى الحجرية الصابونية ومجموعة من الحلى البرونزية.[٢٨]

ويجدر بالذكر وجود بعض المواقع الأثرية الهامة التى تعود إلى العصر الهلينستى خاصة المستوطنتين الكبيرتين في إمارتى الشارقه (موقع مليحة) وأم القيوين (موقع الدور) وما عثر بها على العديد من اللقى الأثارية يتضمن متحف العين نماذج لبعضها.[٢٩]

وتقع مستوطنة **المليحة** (الشارقة) على بعد ٢٠ كم إلى الجنوب من منطقة الزيد الواقعة إلى الشرق من مدينة الشارقة، وعلى بعد ٥ كم عن مدينة الشارقة. وتنتشر التلال الأثرية بها وقام بالحفر بها بعثة أثرية عراقية.

وتم الكشف بالمكان عن كسر فخارية هيلينستية، وبعض البقايا لمواد غذائية كالتمر والحبوب محفوظة في سلال من الجريد وبقايا خشبية وعاجية وزجاجية. وتعكس تلك اللقى الأثرية صلات حضارية لأهل المكان مع حضارات الهند والرافدين وبلاد الشام[٣٠].

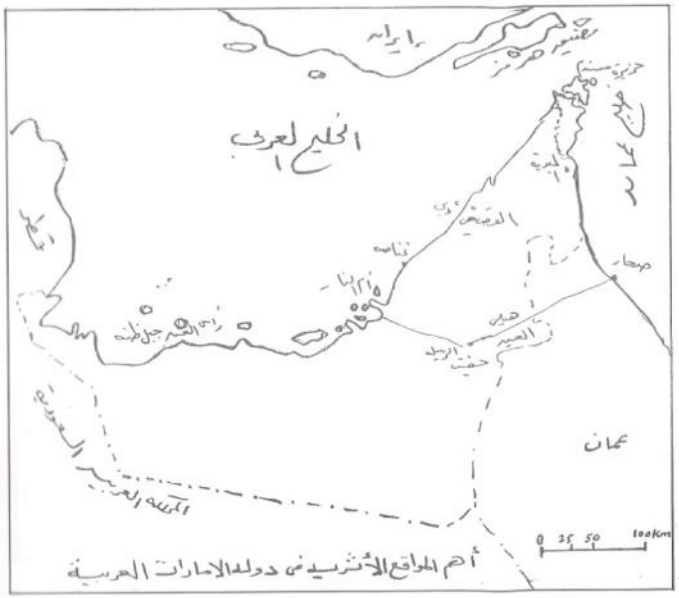

خريطة (١٢)

أهم المواقع الأثرية في دولة الامارات العربية المتحدة

الفصل الثامن
مدخل إلى حضارات سلطنة عمان ولمحة مبتسرة

إقليم عمان أو شبه جزيرة عمان إقليم متكامل ينقسم سياسيًا إلى سلطنة عمان ودولة الامارات العربية المتحدة ويحيط به بحر العرب من الجنوب (المحيط الهندى) وجبل عمان من الشرق والخليج العربى من الشمال والربع الخالى من الغرب. ويخترق الاقليم من الشمال إلى الجنوب مرتفعات عمان والتى لعبت دورًا هامًا في اقتصاديات الاقليم. وكان للبحر دوره المؤثر كذلك في اقتصاديات المكان من أقدم العصور ولعب العمانيون دور الوسيط التجارى بين دول المحيط الهندى ودول الخليج العربى والساحل الشرقى للبحر المتوسط.(١)

وتشغل سلطنة عمان مساحة قدرها ٣٠٠,٠٠٠ كم٢ وتمتد ما بين دائرتى العرض ٤٠ ١٦° و ٢٠ ٢٦° شمالاً وبين خطى الطول ٥٠ ٥١° شرقا و ٤٠ ٥٩° شرقا وتطل سواحلها على خليج عمان وبحر العرب بامتداد ٢٠٠ كم . ويقترب من سواحلها عدد من الجزر الهامة بالقرب من رأس مسندم في مضيق هرمز، وامام مسقط تمتد الجزيرة المعروفة بنفس الاسم. وتكون المرتفعات ١٥ ٪ من مساحة الاقليم وتغطى الرمال ٢٠ ٪ منه بينما تشغل الوديان ٦٥ ٪ من مجموع المساحة ويبلغ إرتفاع الجبل الأخضر حوالى ٣٠٣٥ مترًا فوق سطح البحر.(٢)

وتتعرض شمال وشرق سلطنة عمان لأمطار في الشتاء وبغزارة مما يترتب عليه أن تفيض الوديان بالمياه التى قد تجرف أمامها ما تقابله من

أشجار أو صخور أو سيارات وانسان. كما تتعرض البلاد للرياح الموسمية الجنوبية الغربية الممطرة في فصل الصيف.[٣]

وقد لعب موقع سلطنة عمان دورًا هاما في تشكيل ملمحها الحضارى ونشاط أهلها الاقتصادى. ولقد كان لوجود الجبل الاخضر البالغ في الارتفاع ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر دورا هاما في توافر أمطار على مدار العام وذلك لاعتراضه الامطار القادمة من الشرق والغرب كما كان للرياح دورها في عملية النحر وترسيب التربة اسفل موقع الجبل مما ساعد على توافر أرض خصبة صالحة للزراعة فيما يعرف باسم "البطنة" والموازي في أهميتها بساحل تهامة في المملكة العربية السعودية[٤] ولقد تفنن أهل المكان في الاستفادة بالامطار ونجحوا في التوصل الى نظام مائى ممتاز يتشابه مع ذلك المعروف من حضارة اليمن وذلك بحفر انفاق، ونقل المياه في قمة الجبل عبر قنوات إلى الأرض الواطئة التى ما زالت بعض بقاياها موجودة للآن، وقد ساعد هذا على وجود نشاط زراعى من جهة إضافة إلى نشاط البحرين التقليدى على ساحل البحر من جهة اخرى[٥] (انظر خريطة رقم ١٤)، (شكل ٣٥).

ولعبت الظروف دورًا في دفع انسان المكان ومن فترة زمنية مبكرة إلى محاولة ركوب البحر وعرف صناعة أشكال بدائية مبكرة من القوارب الصغيرة من الجلود أو من جذوع النخيل التى تنبت بكثره على الساحل الشرقى لجزيرة العرب. فكان يقوم بتجويف جذع شجرة النخيل بأدوات بدائية، ثم يسحبه إلى البحر. ثم تطورت القوارب في الألف الخامس ق.م. ويعتبر "القطمران" أقدم نماذج المراكب التى صنعها العمانيون قديما والمؤلف من لوحين أو ثلاثة من الخشب. كذلك صنع العمانيون القوارب من جريد النخل وتطورت فيما بعد وسائل إستخدام الصارى والشراع وارتبط بذلك معرفة حركة الرياح ودورها في تسيير السفن[٦].

ويجدر بالذكر ان لفظ عمان قديما كان يطلق على جميع شبه الجزيرة العربية الواقعة الى الشرق من قطر، والممتدة جنوبا إلى المحيط من المحيط الهندى، وكان أول من سكن عمان من العرب قبيلة "الازد" اليمنية وقد سمت الازد عمان "عمانا" لان منازلها كانت على واد لهم بمأرب يقال له عمان فنسبوها له، والعجم تسميها "فيرونا"، واطلق الفرس على القسم الواقع على ساحل الخليج العربى من هذه المنطقة "جلفارا" بالنسبة إلى مدينة "جلفار" القديمة التى بنيت مدينة رأس الخيمة مكانها. وكان الاوربيون يطلقون على سكانها "عرب جلفارا". وفي القرن الثامن عشر أصبح لفظ عمان يطلق فقط على الزاوية الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية، والتى تعرف الآن بسلطنة مسقط وعمان ودولة الامارات العربية[٧].

التنقيبات الأثرية في عمان :

شهدت أرض عمان بعض الأعمال الأثرية سواء منها المسح الأثرى أو القيام بأعمال حفر فعلية كشفت عن مواقع حضارية عدة ترجع إلى عصور تاريخية مبكرة ربما عاصرت الحضارات العراقية المبكرة وبالمثل حضارات وادى النيل، وبعضها الآخر يعكس نشاطات للانسان الأول في عصور ما قبل التاريخ. كما عكست ذلك النقوش الصخرية بالمكان ومستوطنات العصر الحجرى بأعلى جبل "ظفار". كما شارك في تلك البعثات العلماء الأجانب إلى جانب علماء الآثار العرب أو الوطنيين.

ولقد قامت البعثة الدانمركية في أواخر ١٩٧٢ وأوائل عام ١٩٧٣ بالعمل في منطقة "صحار" إلى جانب الطريق الى "البوريمى" بوادى "الجزى" ووادى "السوق"، كما قامت بالعمل في شمال شرقى "عبرى" و "بات" حيث وجدت جبانة بجهتها الشمالية الغربية تتكون من نحو مائة قبر كبيرة

الحجم من الحجر يتراوح قطر الواحد منها ما بين خمسة وعشرة أمتار، ووجد بها بعض الفخار، وبقايا اوان من حجر الاستياتيت وبعض الأساحة النحاسية ووجد باثنين من تلك القبور حوائط حجرية يعتقد انها من بقايا قصور أو معابد قديمة ويرجع عهدها الى الألف الثالث قبل الميلاد (حوالى ٢٧٠٠ ق.م)[٨].

كما قامت بعثة جامعة هارفارد عام ١٩٧٣ بالتجوال في عمان لتنفيذ أول عملية للمسح الآثارى هناك، حيث عثرت بأعالى جبل ظفار على أماكن مستوطنات ترجع إلى العصر الحجرى، وعثر بها على كمية من الأحجار الظرانية.[٩]

وأجرت بعثة من الجمعية الجغرافية البريطانية مسحا علميًا للساحل الغربى من شبه جزيرة مسندم شمال عمان. وقامت بعثة مصرية بمسح أثرى وحفائر بشرجة المنجد بناحية الأخضر خلال عام ١٩٧٤، وحفائر أخرى في ياجران بمنطقة البوريمى خلال عام ١٩٧٥ وعثرت على أدوات حجرية ومقابر دائريه ومستطيلة الشكل.

كما وجدت بعض النقوش والصور الصخرية بوادى بنى خروص، وادى ضيقة، وادى تنوف بمعرفة "رودى – جاكلى" تنوعت فيها الموضوعات منها لرجل وامرأة متعانقين. كما وجد بوادى فرح نقش يمثل أحد الحيوانات الغريبة بقرون ورقبة أوزة جالسًا على مؤخرته. (انظر شكل ٣٦ – ٣٨)

كما قامت بعثة جامعة كاليفورنيا برئاسة وندل فيلبس بالكشف عن مدينة البخور "سمهرم" بجوار "خور دورى" بظفار، كما قامت بحفائر بصحار.

كما شاركت وزارة الاعلام والثقافة بعمان بحفائر بجهة بلد الاخضر بمكان يعرف بسرجة المنجد بوادى سمد عام ١٩٧٤، وبحفائر اخرى في "ياجران" بالبريمى في عام ١٩٧٥ حيث تم الكشف عن مستوطنات ترجع إلى العصر الحجرى القديم المتأخر احدهما قرب قرية "الغبداى" والآخر قرب جبل الشبة بجزيرة مصيره.[١٠]

النقوش الصخرية :

توجد على كثير من صخور الجبال نقوش صخرية عن اشكال آدمية وحيوانية مختلفة الأشكال لا يمكن تحديد تاريخها ويرى فيها مناظر أشخاص مربعى الاجسام وبعضهم جالس ويلبسون احيانا ازرار ويضعون السيوف على وسطهم الرفيع ومناظر طيور جارحة ومراعى وحيوانات متوحشة ونعام ومناظر حرب وصيد ومرعى وقوافل ومراكب وعربات مما يدل على أنها من عهود مختلفة وبعضها بدون شك حديث. وأحسن تلك النقوش ما هو موجود في وادى السحيق ووادى بنى حزوحى[١١] – انظر اشكال ٣٦ – ٣٨).

حفائر البلد الأخضر :

عثر في تلك المنطقة على ثمانية قبور بقى من مبانيها تحت الأرض ما لا يزيد عن المتر في منطقة البلد الأخضر، عثر بها على خرزتين من أوراق الذهب، وأوان من الفخار البنى المائل للحمرة مختلفة الأشكال والاحجام، ومنها ما هو طويل بمقبض ومنها ما هو على شكل ابريق بمقبض ومصب (بزبوز) وعليها زخارف مخربشة بأداة حادة أو بالاظافر عباره عن تحوير لسعف النخيل أو سنابل القمح ويلاحظ في الحجرات الفخارية الكبيرة الحجم ثقب صغير قرب القاعدة تدل استدارته والهالة التى حوله عن أنه

كان له سداده يخرجونها عند سكب ما به من سوائل.وترجع تلك المقابر الى الألف الثالث قبل الميلاد وفقا للدراسة المقارنة لما عثر بها من آثار مع تلك المعروفة من جبانات أخرى مثل "نات" و "العين" و "هيلى" وحفيت بابوظبى[١٢] . (انظر شكل رقم ٣٨).

صحار :

تعتبر من أهم المواقع بسلطنة عمان الحالية وكانت مدينة تجارية وميناء هام على الساحل العمانى. وعكست الدلائل الأثرية بها عن وجود بقايا لحضارات العصر الحجرى القديم ووجود نظام متقدم نسبيًا لنظام المدرجات وللرى (نظام الأفلاج)، إضافةً الى عمليات لصهر خام النحاس في نفس مكان استخراجه. وقد اشتهرت في القرن الرابع الهجرى بأنها ملتقى للسفن التجارية المتجهة إلى والعائده من الهند وشرقى أفريقيا وسيلان والصين. وقد ورد وصف لها في المقدسى: "قصبة عمان، وليس على بحر الصين اليوم أجمل منه عامر بأهله، حسن، طيب، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات وأسواق عجيبة". كما قال عنها ابن حوقل: "صحار على البحر، وبها من التجار ما لا يحصى، وهى أعمر مدينة في عمان واكثرها مالاً، ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس مدينة أكثر عماره ومالاً من صحار". وكانت صحار في القرن الرابع الهجرى أكبر موانئ الخليج العربى بعد سيراف، وكان لها تجارة رائعه مع شرق أفريقيا.[١٣]

حفائر قرية "ياجران" بالبريمى :

أبانت الحفائر بالموقع عن خمسة عشر قبرا لم يوجد بها سوى بقايا عظام صغيرة نخرة اللهم الا في واحد منها عثر به على جمجمة آدمية

بأضراسها. والمدافن مستطيلة الشكل فيما عدا واحد منها يقرب من الاستدارة، ومحور الدفن بها هو شرق غرب، وأبعادها تتراوح من ٢,٥٠طول × ٢,١٠عرض ×١,٢٠متر عمق و ١,٦٥طول × ٠,٩٠عرض × ٠,٨٠متر عمق. وجدرانها مبنية بمداميك من الحجر المحلى وغير مبطنة ببلاطات ولم يستدل على شكل سقفها.(١٤)

وأهم ما عثر بتلك المقابر من آثار هو من لوازم الحياة اليومية من أكل وشرب وزينة وحرب مما يعكس احتمالية اعتقادهم، مثلهم في ذلك مثل المصريين القدماء، في حياة اخرى بعد الموت، حيث عثر على أربعة أسنة رماح بحالة جيدة وسبعة أسنة سهام وبلطة صغيرة من النحاس. ومما يدعم ذلك ما أثبتته الكشوف الحالية من معرفتهم لاستخلاص النحاس، وربما كان هناك ما يزيد عن ستين منجما للنحاس موزعة في كل جبال عمان والتى بها أيضا افران لصهر النحاس(١٥) . ومن أدوات الزينة عثر على حلقتين من النحاس وخاتمين من الصدف و٤٧ خرزة كما عثر على أوعية وطاسات وجرار صغيرة وأوان مقسمة من الداخل من حجر الاستيناتت المصقول جدا والمنحوت على سطحها دوائر مفردة أو مزدوجة منقوطة بوسطها مع خطوط دائرية افقية وأخرى متعرجة وبعضها به مصب لسكب السوائل. كما وجد أحيانا من الداخل رسوم خطوط باللون الاسود من الطرز الشائع في فخار ذلك العهد مما كشف عنه بجهات الخليج العربي والعراق. كما عثر على رسوم ايضا من طرز رسوم ما قبل الأسرات في مصر(١٦) (انظر شكل ٣٩).

ويرجح أن تعود آثار مدافن "ياجران" إلى الألف الثالث ق.م (٢٧٠٠ ق.م)، وان تلك الجهات كانت محطة من محطات القوافل الواقعة بغرب خليج عمان والخليج العربى، وذلك في إرتباط مع كون العمانيين سادة البحار وما كان لهم من معرفة بركوب البحر، والذى ربما مكنهم من الوصول إلى

مصر كما عكس ذلك مناظر السفن الأجنبية على جدران مقبرة الكوم الأحمر المصرية، ومناظر سكين جبل العرقى من جهة ومن اندفاعهم شمالا إلى قمة الخليج العربى من جهة اخرى، وكون عمان محطة في طريق القوافل التى كانت تنقل النحاس والديوريت والبصل ومحصولات زراعية اخرى كالليمون والبخور المشهورة به عمان قديما وأن هذا الطريق كان يمتد من ظفار التى اشتهرت بالبخور (اللبان) حتى وادى سعد ثم عبرى فالبريمى وما يجاورها كالعين وهيلى ثم وادى الجنوبى الى صحار حيث تنقل الأشياء المذكورة بالبحر مارة بابوظبى (أم النار) وقطر وجزيرة تاروت والبحرين فالكويت. (١٧)

ظفار (البليد):

تنتمى أطلال البليد (نطق جبلى لكلمة البلد العربية) وهى عبارة عن مساحة واسعه داخل مدينة صلاصة الحديثه إلى مدينة ظفار، التى تنتمى بدورها إلى العصور الوسطى. وقد هجر المكان واستخدم من قرون قديمة كمصدر لمواد البناء. واعتبر جميع الرحاله الذين زاروا سهل صلالة في القرن التاسع عشر أن أطلالها اكثر مواقع الآثار القديمة في تلك المنطقة مثيرة للدهشة ومن بينهم هـ . ج كارتر و س. ب. مايلز. وقد أجريت بعض أعمال التنقيب في ظفار بواسطة البعثة الأمريكية. (١٨)

وتعتبر الثروة الاقتصادية في هذه المنطقة الخضراء في جبال ظفار قائمة على تربية الحيوانات خاصة الماشية والماعز والابل، كما يعتبر اللبان من موارد المكان الهامه خاصة من منتصف الألف الأول ق.م وما يليه. (١٩)

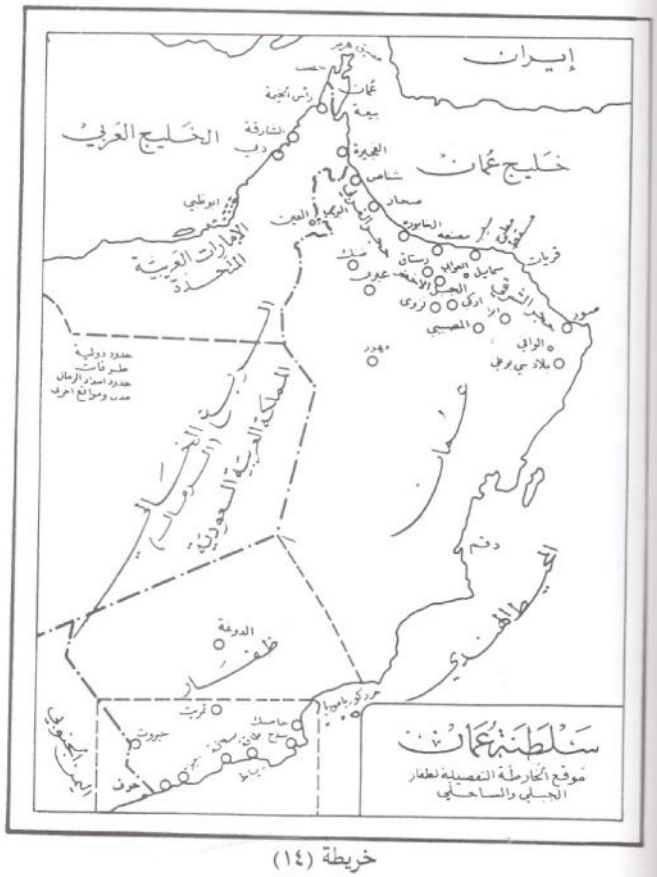

خريطة (١٤)

الملامح الجغرافية وأهم المواقع في سلطنة عمان

(أبوالعلا، جغرافية اقليم عمان، الكويت: ١٩٨٨، ص ١٦، شكل ١)

الفصل العاشر
الاطار الحضارى للملكة العربية السعودية

الفصل العاشر
الاطار الحضارى للملكة العربية السعودية

تشغل المملكة العربية السعودية الجزء الأكبر مما يعرف إصطلاحا بشبه الجزيرة العربية، وتندرج طبوغرافيتها تحت أحد الأقسام الثلاثة لبلاد العرب التى قسمها جغرافيو اليونان والرومان تحت اسم بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta والتى كانت تطلق على بادية الشام ثم شمل اسمها البادية الواسعة والمناطق الصحراوية التى كانت تسكنها قبائل شبه جزيرة العرب كلها.[١] إضافة الى ذلك فان المملكة العربية السعودية تشغل أربعة أقسام من تلك الخمس التى درج العرب على تقسيم جزيرة العرب اليها وهى تهامه، نجد، الحجاز، العروض، أما القسم الخامس فكان اليمن.[٢]

وتبلغ مساحة المملكة العربية السعودية حوالى ٢,٢٥٣ مليون كيلو متر مربع من اجمالى مساحة شبه الجزيرة العربية التى تقدر بحوالى ٣,١ مليون كم متر مربع تقريبا (انظر خريطة ١٩).

ويسود الجفاف السعودية بوجه عام ويندر سقوط المطر خلال فصل الشتاء وان تعرضت مناطق جنوب غرب السعودية لتأثير الرياح الموسمية الصيفية التى تهب على اليمن وتتساقط بعض الأمطار في آخر الصيف حتى الطائف. وقد تتعرض المناطق للأخطار نتيجة الأمطار الغزيرة أو السيول أحيانا.[٣]

وتوجد مرتفعات صخور الدرع العربى (Arabian Sheild) على طول ساحل البحر الأحمر، وتتكون من سلسلة جبال الحجاز في الشمال وجبال

عسير في الوسط وتمتد بين الساحل وسفوح هذه الجبال سهول ساحلية أشهرها سهل تهامة. وقد سميت تهامة بذلك الاسم من التهم، وهو شدة الحر وركود الريح، لشدة حرها وركود ريحها، وقيل سميت كذلك لتغيّر هوائها، ولانخفاض أرض تهامة سميت بالغور.(٤)

وتشكل المناطق الداخلية مسطحا واسعًا يطلق عليه "المسطح العربي" ويحتوى على عدة هضاب صخرية أهمها هضبة نجد في الوسط وهضبة الحماد في الشمال وجبل طويق في الجنوب.(٥)

ومن اللافت للنظر أنه برغم إطلال المملكة العربية السعودية في حدودها الغربية على ساحل البحر الأحمر بمساحات طويلة إلا أنه لا يوجد لها إلا القليل أو النادر من المرافئ عليها خاصة في المسافة من منتصف ساحل البحر الأحمر وحتى حدودها مع اليمن. وقد أبانت دراسة حديثة تناولت الموانئ والمرافئ الطبيعية على الساحل السعودى الغربى المطل على البحر الأحمر من أقصى الشمال حيث مرفأ حقل وجنوبا حتى مرفأ جيزان إلى وجود مرحلتين هامتين: مرحلة العصور الكلاسيكية (أو مرحلة ما قبل الاسلام) وارتباط ذلك بطريق البخور ما بين بلاد اليمن السعيد والشام ومصر وما صاحب ذلك من تنافس للقوى الأجنبية (البطالمة والرومان) والانباط للسيطرة وبسط النفوذ على ذلك الطريق التجارى البرى وبالتالى على تجارة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية من جهة، ومرحلة ما بعد ظهور الاسلام التى ارتبطت بظهور قوة عرب الحجاز في مكة ويثرب وما صاحب ذلك من ظهور مرفأى الحجاز وينبع في مرحلة تاليه من جهة أخرى. كما أوضحت تلك الدراسة الأهمية الاستراتيجية لموانئ حقل والمويلح والوجه ودملج استنادا إلى ما عثر عليه من بقايا لقلاع وحصون مشيّدة من حولها بالمكان.(٦)

وتكاد الغالبية العظمى من المؤرخين وخاصة ثقاة المستشرقين تجمع على أن شبه الجزيرة العربية هى الموطن الأول للعناصر السامية ومنهم رايت سايس Wright Sayce وشبرنجر Sprenger والمستشرق كرادفيرى. ويذهب دى غويه إلى القول بأن شبه الجزيرة العربية كانت الموطن الأول للعناصر السامية، وأن عشائر مختلفة هاجرت منها إلى المناطق الزراعية المجاورة لها في الهلال الخصيب وما يليه أو إلى وادى النيل في افريقيا.(٧)

وتحظى السعودية بالعديد من الاشارات في كتابات الرحالة والمؤرخين الكلاسيكيين والمسلمين الأوائل وكانت مسرحًا لعديد من الرحلات التى قام بها الباحثون والرحّالة الغربيون عبر فيافيها وينسب اليهم الفضل في اعطاء الوصف لكثير من مواقعها أو نقل العديد من تلك الرسوم أو النقوش على واجهات صخورها.(٨)

كما أجريت – منذ بدء الاهتمام بآثار المملكة العربية السعودية – عدة أبحاث علمية من قبل بعض الجهات الأكاديمية الأجنبية بالتعاون مع إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية لعدة مناطق متفرقة من المملكة لعل من بين أهمها ما قامت به بعثة جامعة تورنتو الكندية وجامعة كنتكى الأمريكية برئاسة كل من الفريد وينت ووليم ريد عام ١٩٦٢ بمسح ما يقرب من ٢٧٠٠ كم من شمال غرب المملكة بحثا عن النقوش والآثار القديمة وقامت بنشر نتائجها في كتاب يحمل عنوان "نقوش قديمة من شمال الجزيرة العربية". وقد عاد ونيت عام ١٩٦٧ إلى المملكة العربية السعودية وقام بمسح أثرى في منطقة حائل، وتصوير ودراسة نقوشها والتى نشرتها الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٧٣ . كما يجدر بالذكر أيضا أعمال كل من الباحثة الألمانية الأصل دوف استيهل، والعالم ألبرت جام (١٩٦٣ ، ١٩٦٨) والتى انحصرت في نسخ وتحقيق النقوش الموجودة في شمال غرب

الجزيرة وغربها ومناطق من جنوبها. كما لا يمكن لنا أن نغفل أعمال البعثة الأثرية الدانمركية من متحف أرهوس التى قامت بأعمال مسح أثرى للمنطقة الشرقية من المملكة واكتشافها للعديد من المواقع (تزيد عن عشرين موقعا) تعود إلى مختلف العصور الزمنية القديمة وبصفة خاصة مواقع تاج والعقير[٩]. كما شملت أعمال بعثة معهد الآثار بجامعة لندن عام ١٩٦٨ القيام بأعمال للمسح الأثرى في مدين ومدينة المابيات الاسلامية، وآثار العلا ومدائن صالح وقرية البدع ومعبد روافة وعدد من المواقع الأخرى التى تحتوى على النقوش الثمودية واللحيانية والنبطية. كما اكتشفت في "القرية" مدينة قديمة ذات نظام رى وزراعة من سدود وقنوات محفورة في الصخر ومدينة أخرى نبطية رومانية ذات أسوار وأبراج. وقد أبانت أعمال الكشف الأثرى كذلك لبعثة معهد سمثونيان الأمريكى عام ١٩٦٨ وأعمال المسح الأثرى لها في الجنوب الغربى للملكة العربية السعودية وفي منطقة نجران وأخدودها الشهير بصفة خاصة عن وجود ثلاثين موقعًا من عصور تاريخية مختلفة. كما أوضحت نتائج أعمال تلك البعثة إلى تأريخ معظم المخلفات الفخارية في نجران من عصر اسلامى مبكر وما سبق من فترات سبئية ومعينية. وبدون شك فان أعمال بعثة قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض باشراف د. عبدالرحمن الأنصارى تعتبر نموذجا لأعمال البعثات الوطنية بالمملكة. وقد قامت بالحفر ولمواسم عديدة منذ منتصف السبعينات في موقع "الفاو" بالمنطقة الوسطى بالسعودية.[١٠]

ولقد تعددت المواقع الأثرية القديمة بالمملكة العربية السعودية، وعكست الآثار الباقية بها والمكتشفة عن ملامح حضارية عدة لحضارات سادت ثم بادت عبر تاريخ المملكة الطويل وفي مواقع جغرافية متعددة.

وتمثلت في العديد من المواقع بالسعودية ملامح حضارات ما قبل التاريخ بعصوره المختلفة: (العصر الباليوليثى (الحجرى القديم)، الميزوليثى (العصر الحجرى الوسيط)، النيوليثى (الحجرى الحديث) وعلى وجه الاحتمال أيضا العصر الخالكوليثى (العصر الحجرى – النحاسى) والنقلة إلى العصر البرونزى المبكر في الفترات ما بين اكثر من نصف مليون سنه ق.م إلى بدء الألف الثالث ق.م.

وقد عثر على العديد من النقوش الحجرية والنبال والأحجار الصوانيه في الأحساء بالمنطقة الشرقية. كما عثر على أدوات صوانيه لرءوس سهام ورسوم بشرية وحيوانية من العصر الحجرى الحديث في منطقة "جبه" بالنفود بالمنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية. [١١] كما عثر على العديد من الأدوات الحجرية من العصور المبكره في الدوادمى بالمنطقة الوسطى ما بين مكة والرياض، وفي تل الهبر ومواقع أخرى. كما عثر بالمثل في شمال السعودية في موقع كلوه عندسفح جبل الطبيق على رسوم وأدوات حجرية يرجّح تأريخها من الألف الثامن قبل الميلاد وفقًا لما يراه "أناتى". كما عثر في واحة يبرين في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على العديد من الأدوات الصوانية الكبيرة الحجم بأشكال الفؤوس اليدوية والشفرات والرقانق الكبيره من الأدوات الصوانية مشحوذه الوجهين. كما عثر بالمثل على مكاشط وسكاكين كبيرة الحجم في موقع "الغبطة". كما عثر في الطبقات الدنيا من "عين قناص" على أدوات صوانية من العصر الحجرى الحديث وكذلك من موقع "أبوخميس". [١٢]

كما يذكر أنه تم العثور على أدوات حجرية عمرها ١,٢٥٠٠٠ سنه في موقع "الشويحطية" بسكاكا من العصر الباليوليثى ، [١٣] وكذلك من موقع "الحمره" بوادى فاطمه جنوب شرق جده وفي موقع "بير صفاقه" إلى الجنوب

من الدوادمي تؤرخ بالفترة من ٢٥٠,٠٠٠ سنة.[١٤] كما عثر في موقع "الشمامة" شمال الرياض على مجتمع استيطاني قديم يعتمد في اقتصادياته على الصيد والزراعة البرية، وعلى مستوى رفيع من الأدوات والآلات الصوانيه من حراب ورءوس سهام وغيرها من فترة الألف الثامن قبل الميلاد.[١٥] كما عثر على ما يمثل حضارة العصر الموستيرى في شمال شرق "أم دعال" على حافة بحيرة جافة في المنطقة الشمالية عثر بها على مجموعة من السواطير والسكاكين وأدوات ليفلوازية.[١٦] (انظر شكل ٤٩).

ولعل من أهم ما ينسب إلى حضارات ما قبل التاريخ خلال العصر الباليوليثى إلى الميزوليتى بصفة خاصة ما تخلف على واجهات الصخور من رسوم فنية تركها لنا انسان المنطقة الأول فيما يعرف اصطلاحا باسم "النقوش الصخرية" (Rock Drawings) . وقد تم تسجيل وتوثيق عدد من مواقع النقوش الصخرية في كل من كلوه، حائل، جبة، المدينة المنوره[١٧]. وتتضمن تلك المناظر بالمكان رسومًا بدائية للجمال والوعل الجبلى واشكالاً بشرية وابقارًا متوحشة. كما عثر كذلك على الرسوم الصخرية في الشملى، الحناكية، مهد الذهب، النقرة، الحائط والحويط ، أشكال تجريدية في جبل برنس. وتم رصد ما لا يقل عن ٧٠٠ موقع في مناطق شمال وشمال شرق وغرب المملكة العربية السعودية حتى عام ١٤٠٦ هـ[١٨]. وقد تعددت موضوعات تلك الرسوم الصخرية من طبعات لأكف الأيدى مثلما نعرف من موقع نجران بما لها من مدلولات مختلفة: جانب سحرى لدرء الأخطار، أو عقائدى للتعبدّ أو وسيلة تخاطب لغوى[١٩] ، وكذلك طبعات للأقدام خاصة من موقع "قرية" على بعد ٧٠ كم شمال تبوك،وكذلك موضوعات الصيد أو القنص للحيوان. (انظر شكل ٥٠)

ومع بدء مرحلة الألف السادس قبل الميلاد بدأت مرحلة العصر النيوليثى (الحجرى الحديث) والتى نعلم عن ملامحها وجود تغيرّ في المناخ ليصبح مناخا جافا (Dry phase) انعدمت فيه فرص سقوط الأمطار أو كادت، اضطر معه الانسان والحيوان إلى الهجره بحثًا عن مصادر مياه دائم (الأنهار)، أو مصادر للمياه الجوفية. ونجم عن ذلك حركة هجرة إلى الهلال الخصيب ووادى النيل من جهة أو بحثا عن مناطق تتوافر بها مياه آبار وعيون من جهة أخرى. وكشفت لنا بعض المناطق الداخلية وفي المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من المملكة العربية السعودية عن توافر بعض من تلك المستوطنات الزراعية خلال العصر النيوليثى عثر بين مخلفاتها على أنماط فخارية.[٢٠] (انظر خريطة ٢٠).

وتلى ذلك مرحلة العصر الخالكوليثى (الحجرى – النحاسى) منذ منتصف الألف الخامس تقريبا قبل الميلاد مع بدء مرحلة معرفة الانسان لكيفية استخراج معدن النحاس، ومن ثم القدرة على صهره وتشكيل ما يرغب من أدوات وأسلحة يحتاج اليها في شئونه اليومية. ومن المعلوم أن مناجم النحاس القديمة في منطقة الشرق الأدنى القديم تتمحور حول مواقع شبه جزيرة سيناء المصرية في منطقة المغارة وسرابيط الخادم بصفة خاصة، وأيضًا مناجم النحاس في سلطنة عمان (أرض ماجان في النصوص السومرية). وكشفت أعمال مسح جيولوجى حديث بالمملكة العربية السعودية عن وجود ما لا يقل عن ثمان عشر منجما قديما في المنطقة الجنوبية من السعودية وقرب حدودها السياسية مع اليمن،[٢١] مما يرجح معه إحتمالية المعرفة بالنحاس ولكن تظل قضية صهره واستغلاله محل خلاف أكاديمى. ولا تعكس لنا الدلائل الأثرية للآن من المملكة الكثير عن آثار تلك المرحلة الزمنية فيما عدا

مناطق حران شمال غرب السعودية (الحجاز) والمنطقة الشرقية منها بإتجاه الخليج العربى وإتصالها مع جنوب بلاد الرافدين.

ولعل أهم ما يرّجح وجود بعض التجمعات البشرية بشمال غرب السعودية من مرحلة العصر الخالكوليثى هو ما تم الكشف عنه من بقايا إنشاءات معمارية بشكل الطائرة الورقية التى يلعب بها الصغار Kite والتى تعرف أحيانا باسم الدوائر الحجريه وتتشابه في شكلها المعمارى المبسط مع ما عثر عليه في جنوب فلسطين وبعض مواقع جنوب شبه جزيرة سيناء من نفس الفترة الزمنية.[٢٢] كما عكست لنا المصادر الأثرية من فترة عصور ما قبل الاسرات المصرية بعض الأشكال التصويرية يشاهد بين أحداها شكلاً لرجل في زى مشابه للزى المعروف عن الساميين (قاطنى شبه الجزيرة العربية) خاصة الأنف المعقوف واللحية الكثيفه، وكذلك يتشابه غطاء رأسه مع الغطاء العربى المعروف حاليا باسم "الغتره" مما يرجح معه معرفة أهل حضارة وادى النيل آنذاك لمجموعات بشريه متنقلة حول حواف حدودها الشمالية الشرقية وباتجاه فلسطين / السعودية.[٢٣]

وفيما يتعلق بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية خلال مرحلة العصر الخالكوليثى أشارت دراسة حديثة كانت أطروحة لنيل درجة الدكتوراه للباحث د. عبدا لله المصرى جادل فيها بأصول سعودية لمجموعات بشرية أقامت واستوطنت بالمنطقة، ثم ارتحلت شمالا إلى جنوب وادى الرافدين وعرفت من بعد باسم الحضاره العُبيدية وفي اختلاف مع ما ذهب اليه الكثير من الباحثين[٢٤] بانتشار الحضارة العبيدية العراقية الأصل إلى الجنوب في مرحلة تالية: إلى الأراضى السعودية وبعض مواقع الخليج العربى: الكويت، قطر، والبحرين وتخلف عنها بتلك المواقع عديد من أدواتها الفخارية المميزّه بزخارفها (انظر شكل ٥١ – ٥٢). ودعّم هؤلاء

المعارضون لوجهة نظر د. المصرى وخاصة الباحثه البريطانيه Oates ما نادوا به إستنادا إلى اختفاء المرحلة الحضارية التاليـة بالمكـان (عصـر جمـدة نصـر) على العكس مما نعرفه في جنوب العراق. وكذلك استنادًا إلى عدم توفر المادة الخام اللازمـة لصناعـة تلـك الأوانـى الفخاريـة ذاتهـا وصعوبـة استيرادها أو جلبها من أجل ذلك الغرض فقط من جنوب العراق آنذاك.[٢٥]

وتم الكشف عن بعض المواقع بهـا آثـار للحضـاره العُبيديـة بأنماطهـا الفخارية المميزة، على سبيل المثال من الدوسرية، جنوب الجبيل، عين قناص، تل أبوخميس بمنطقة رأس الزور،وعلى بعض الجزر المتاخمـة للساحل مثل جزيرة المسلمية وجنة.[٢٦] (انظر شكل ٥١ – ٥٢) كما عثر كذلك على بعض الطبقات السكنيه من عصر العبيد في جزيرة تاروت بالخليج العربى، وعلى تمثال يرجُح تأريخه من عصر جمدة نصر[٢٧] (شكل ٥٣).

وتمثل فـترة العصـر البرونزى المبكـر بـأدواره المتعـددة خـلال الألـف الثـالث إلى الألـف الثـانى قبـل الميـلاد في المملكـة العربيـة السـعودية فجـوة تاريخية فيما عدا بعض الدلائل الأثرية البسيطة المرجحة لوجود تجمعات بشرية نسبية في مناطق شرق السعودية وربما حول حواف شمال غرب السعودية باتجاه حدودها السياسية مع شبه جزيرة سيناء المصرية.

وقد حفظت لنا النصـوص المصريـة خـلال الفتره المبكره مـن الألـف الثالث ق.م وخاصة من عصر الدوله القديمة / العصر البرونزى المبكـر في دوره الثالث (EBIII) إشارات لبعض المناطق الجغرافية إلى الشرق مـن وادى النيـل وأسماء بعض التجمعات البشرية الآسيوية (السامية) القاطنـة بالمكـان أو المتجوله عبره. ولعل أهم تلك التسميات في النصوص المصريه ما سبق الإشـارة اليه من تعبير "ايابتت" I3btt بمعنـى (أرض) الشرق". ومـا يرتبـط مـن بشـر

المعارضون لوجهة نظر د. المصرى وخاصة الباحثه البريطانيه Oates ما نـادوا به إستنادا إلى اختفاء المرحلة الحضارية التاليـة بالمكـان (عصـر جمـدة نصـر) على العكس مما نعرفه في جنوب العراق. وكذلك استنادًا إلى عدم توفـر المـادة الخام اللازمـة لصناعـة تلـك الأوانـى الفخاريـة ذاتهـا وصعوبـة استيرادها أو جلبها من أجل ذلك الغرض فقط من جنوب العراق آنذاك.[٢٥]

وتم الكشف عن بعض المواقع بهـا آثـار للحضـاره العُبيديـة بأنماطهـا الفخارية المميزة، على سبيل المثـال مـن الدوسـرية، جنـوب الجبيـل، عـين قنـاص، تـل أبوخميـس بمنطقـة رأس الـزور،وعلـى بعـض الجـزر المتاخمـة للساحل مثل جزيرة المسلمية وجنـة.[٢٦] (انظـر شـكل ٥١ – ٥٢) كمـا عـثر كذلك على بعض الطبقات السكنيه من عصر العبيد في جزيرة تاروت بالخليج العربى، وعلى تمثال يرجُح تأريخه من عصر جمدة نصر[٢٧] (شكل ٥٣).

وتمثل فـترة *العصـر البرونزى المبكـر* بـأدواره المتعـددة خـلال الألـف الثـالث إلى الألـف الثـانى قبـل الميـلاد في المملكـة العربيـة السـعودية فجـوة تاريخية فيما عدا بعض الدلائل الأثرية البسـيطة المرجحـة لوجـود تجمعـات بشرية نسبية في منـاطق شـرق السـعودية وربمـا حـول حـواف شمـال غـرب السعودية باتجاه حدودها السياسية مع شبه جزيرة سيناء المصرية.

وقد حفظت لنا النصـوص المصريـة خـلال الفتره المبكـره مـن الألـف الثالث ق.م وخاصة من عصر الدوله القديمة / العصر البرونزى المبكـر في دوره الثالث (EBIII) إشارات لبعض المناطق الجغرافية إلى الشرق مـن وادى النيـل *وأسـماء بعـض التجمعـات البشـرية الآسـيوية (السـامية) القاطنـة بالمكـان أو* المتجوله عبره. ولعل أهم تلك التسميات في النصوص المصريه ما سبق الإشـارة اليه من تعبير "ايابتت" I3btt بمعنـى (أرض) الشـرق". ومـا يرتبـط مـن بشـر

مقيمين عليها بمعنى "الشرقيون" في ارتباط بكل ما يوجد إلى الشرق من دلتا نهر النيل وتغطى بالتالى سيناء وما يقع الى الشرق منها في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية (السعودية) على وجه الاحتمال.[٢٨] كما حفظت لنا النصوص التعدينية في شبه جزيرة سيناء من نفس الفترة التى تعكس جهود ملوك مصر التأديبية أسماء بعض تلك المجموعات البشرية البدوية الآسيوية الأصل التى كان الملك يفتخر بسيطرته عليها وبسط النفوذ المصرى بالمكان ومن بينها أسماء "الاونتيو" *المونتيو*، والحريوشع"[٢٩]

وعكست لنا بعض الدلائل الأثرية من المنطقة الشرقيةمن المملكة العربية السعودية عن وجود حضارة العصر البرونزى المبكر بالمكان ومتشابهة في بعض بقاياها الأثرية مع حضارة دلون (البحرين) ومع فخار حضارة أم النار (الامارات العربية المتحدة) وكذلك على فخار أجنبى الأصل من حضارة بلاد الرافدين.

وتمثل فترة العصر البرونزى الوسيط (MB) بأدواره الثلاث المختلفة (٢٠٠٠ – ١٤٥٠ ق.م) مشكلة أخرى في تاريخ المملكة العربية السعودية حيث لم يعثر على دلائل أثرية مرجحة لتواجد بشرى بالمكان. ولا يتوافر لدى الباحث سوى تلك الاشارات في المصادر اللاهوتية فيما يرتبط برحيل ابراهيم عليه السلام وزوجته المصرية هاجر وابنهما اسماعيل عليه السلام إلى المكان المعروف حاليا باسم مكه تنفيذا لرغبة إلهية، وقيامه بتشييد البيت العتيق (الكعبة) بالمكان، ومعجزة إنبثاق المياه من كعب قدم الصبى إسماعيل في المكان المعروف حاليا باسم "بئر زمزم" وما ارتبط بذلك من استجابة لتلك الدعوة الكريمة التى نادى بها ابراهيم ربه ﴿ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس

تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ [٣٠] بأن بدأت مجموعات بشرية بالاقامة والاستيطان بالمكان.

ويبدو أنه مع فتره منتصف الألف الثانى ق.م ما يعرف اصطلاحًا باسم العصر البرونزى الحديث وما يليه خلال العصر الحديدى في الألف الأول ق.م وبدأت الظروف تتغير نسبيا وبدأت المواقع تكشف لنا عن عودة للانسان للاستقرار بالمكان وعن وجود العديد من المواقع الأثرية وفي إرتباط بخطوط التجارة البرية على طول ساحل البحر الأحمر الشرقى وعبر وسط الجزيرة العربية باتجاه البحرين (الجرهاء) وحتى جنوب بلاد الرافدين. وتزامن ذلك فيما يبدو مع قدرة الانسان على تدجين الجمل واستخدامه كوسيلة مواصلات وللنقل من جهة ومع ازدياد طلب الحضارات المجاورة على البخور واللبان أهم منتجات شبه الجزيرة العربية في جزئها الجنوبى الغربى (اليمن) من جهة أخرى. وقد ترتب على ذلك عودة استيطان بشرى لبعض أفراد من قبائل الجنوب سواء أكانت معينية أو سبئية في منطقة شمال غرب الحجاز لتكون وسيطا تجاريًا ولتؤمن حركة النقل التجارى البرى عبر المكان. وبدأت المواقع العديدة من السعودية تكشف لنا عن حضارات هامة بالمكان، وعن قدرة لأهلها في تنظيم أمور الزراعة والتجارة وحتى أمور القتال والتصادم الحربى مع جيرانها الأقوياء إلى الشمال في بلاد الرافدين خلال فترة مجدهم الحربى في العصرين الآشورى والكلدانى. [٣١]

ويمكن القول أن معظم الاكتشافات في مناطق شرق المملكة العربية السعودية خلال الثلاثين عاما الأخيره تؤرخ من الألف الأول قبل الميلاد: من العصر الحديدى إلى العصر الساسانى ثم مرحلة ما قبل العصر الهلينى فيما عدا بعض المواد الأثريه المشابهة للحضارة الكاسية (أواخر العصر البرونزى الوسيط إلى العصر البرونزى الحديث) حيث عثر على خاتم اسطوانى من

الفيانس في موقع السبخة ما بين الظهران والعقير يؤرخ من القرن ١٣ أو ١٢ ق.م ، وعلى كسرات من الفخار من النمط المعروف (ring - based goblets) من العصر الكاسى أو العيلامى في منطقة الى الجنوب من الظهران وذلك عام ١٩٨٣.[٣٢]

كما رجّح زارينس Zarins تأريخ تلك المادة الأثريه المكتشفة في بعض مواقع جبانة الظهران الممثله في رءوس سهام أحيانا حديدية، أساور نحاسية وخواتم إلى الجزء الأخير من الألف الثانى ق.م.[٣٣] كما أن المادة الأثرية من إحدى مقابر الظهران إشتملت على فخار و أوانى حجرية تتطابق على الأقل فيما يتعلق بالأوانى الحجرية مع تلك الأوانى المعروفة من موقع القلعة في البحرين في مرحلتها الثالثه (Qalaat city III,B) (١٥٠٠ – ١٤٠٠ ق.م)، ومجموعة من الأوانى الفخارية من نمط goblet ذات القاعدة المسطحة والدائرية تتشابه مع مثيلاتها الكاشية أو العيلامية.[٣٤]

وكانت من بين المواقع الهامة بتلك المنطقة الشرقية من السعودية جزيرة تاروت، تاج، الجرهاء (الجرعاء)، جبيل والظهران.

وتقع جزيرة تاروت (تارو أو ايثار Ithar عند بطليموس) على الخليج العربى مما يلى القطيف، وتتصل بالقطيف بجسر طبيعى يتراوح عرضه بين عشرة وعشرين مترا في طول أربعة كيلو مترات، ولا تزيد مساحتها عن أربعة كيلو مترات مربعة وتوافر فيها مصادر للمياه العذبة، وبانتاجها للنخيل.[٣٥] وعثر بها على آثار هامة يرجع بعضها كما سلف القول إلى السلالات الأولى لبلاد مابين النهرين، وآثار أخرى إلى فترات زمنية معاصرة للحضارة الفارسية العيلامية، وحضارة موهنجدارو السندية وحضارة أم النار وكذلك على مجموعة من الأوانى الفخارية المزججّه ومنها ما يعطى

بريقاً معدنيا من الطراز الهلينستى (٣٠٠ ق.م – ٢٠٠م) بالإضافة إلى عملات ساسانية استعملت في صدر الاسلام.[٣٦]

وقد أشارت بحوث البعثه الدانمركية عام ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م إلى وجود دلائل أثرية في منطقة "ثاج" تنتمى إلى العصر السليوقى. وهى تقع غربى مدينة الجبيل بحوالى ٨٠ كم، وعلى مسافة ١٥٠ كم شمال غرب الظهران وتمتد خرائبها لتغطى مساحة ٢٠٠ كيلو مترا مربعًا، وهى في شكل هضاب يتراوح إرتفاعها ما بين ٢ و ٣ كيلو متر. ويوجد بالموقع مدينة متكاملة يحيط بها سور خارجى بلغ طوله ٩٠٠ م من الفترة السليوقية وقد عثر بها على تسع نقوش ضخمة مدونه بالخط المسند (حاليا في متحف الادارة العامة للآثار والمتاحف) من من أواسط الألف الأول ق.م[٣٧] .وقامت ادارة الآثار والمتاحف بالسعودية عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢ باجراء حفريات أثرية إختبارية للموقع أسفرت عن الكشف على أربع فترات سكنية (طبقات) يعود آخرها إلى العصر الهيلينى بالاضافة إلى العديد من العملات البرونزية والفخار والدمى وتماثيل فخارية منها ما يطلق عليه تمثال الأمومة وقوارير صغيرة من الزجاج وبوتقات صغيره وقدور (انظر شكل ٥٤).[٣٨] كما تم العثور على نصين لشواهد العفو بلغة عربية جنوبية وقطع من تماثيل طينية حيوانية وبشرية وكسرات لمباخر كما عثر فيها و. شكسبير عام ١٩١١ م على نقشين بالمسند الحسائى.[٣٩] كما عثر ماندفيل عام ١٩٦٢ على شاهد قبر يوّضح رعاية الاله ود للمتوفى.[٤٠]

ويبدو أن **الجرعاء (جرهاء) (العقير)** كانت عند نهاية أحد طريقين رئيسيين كثيرا ما تردد ذكرهما في أعمال علماء الجغرافيا الأقدمين مثل سترابون والجغرافي العربى الهمدانى، وعلماء الجغرافيا والرحالة الأجانب في المائة عام الأخيره مثل بالجريف، هاليفى، فيلبى وآخرون وهما

طريقا مأرب – جرهاء من ناحية وطريق جرهاء – تيماء من ناحية أخرى.[٤١] ويبدو أنها لعبت دورًا هاما في حركة التجارة الدولية خلال العصر السليوقى مما انعكس بدوره على ثرائها بما يشهد به بقاياها الاثرية فيما بين العقير حاليا وظهران.[٤٢]

ويرجح أنها في الموقع الذى يبعد ٢٤ كم شمال شرق ميناء العقير الحالى على الخليج العربى وربما كانت منطبقة معه. وقد رجح سترابون موقعها إلى الداخل على بعد ٦٠ ميلاً بينما يذهب "بلينى" إلى ترجيح موقعها القديم على الساحل.

إضافة إلى ذلك فان موقع ظهران قد عثر به على العديد من التلال الجنازية شبيهة بالتلال الجناريه من البحرين. وتقع مدافن الظهران في جنوب مطار هذه المدينه فيما بين ٥٠° ٨َ شرقا و ٢٦° ١٤َ ١٥ً شمالاً. وغرف الدفن من أحجار غير ملساء، وعثر بداخلها على مجموعة من الكسر الزجاجية والخرز وزبدية كاملة من الحجر الصابونى. ويرجح "كورنوول" P. Cornwall أن يكون أصحابها هم أهل حضارة دلون الذين حكموا الاحساء والبحرين. وتم العثور كذلك بالمكان على نماذج فخار أم النار Black on grey إلى الجنوب من الظهران وكذلك على أختام دلونية شمال الظهران.[٤٣] (انظر شكل ٥٥)

وعثر على أطلال **مدينة جبيل القديمه** على بعد سبعة أميال جنوب المدينة المعروفة بنفس الاسم حاليًا. وجبيل عبارة عن ميناء قديم يقع على بعد ٦٠ ميل شمال مدينة الظهران على الساحل. وقد عثر بها على بقايا بيوت مستطيلة الشكل تفصل بينها شوارع مرتبة ترتيبا حسنا[٤٤]. وقد عثرت البعثة

الاثرية الدانمركية على كتل حجرية كبيرة ونقوش لحيوانات ومصائد لأسماك وأشكال هندسية تغطىّ المنحدرات العلوية لتل المدينة المهجورة.[٤٥]

وتمحورت كذلك مجموعة أخرى من المواقع الأثرية بالمملكة العربية السعودية في إرتباط مع الطرق التجارية البرية عبر الجزيرة العربية خلال الألف الأول ق.م من بين أهمها: العلا مدائن صالح، تيماء، منطقة الجوف (دومة الجندل) بالاضافة إلى موقع الفاو. (انظر خريطة ١٩).

ويعتبر **موقع العِلا (الخريبة)** من أهم تلك المواقع في شمال السعودية من حضارة أواخر العصر البرونزى الحديث إلى العصر الحديدى. وتقع العلا قرب وادى القرى إلى الشمال الغربى من المدينة المنوره بنحو ٣٢٨ كم وعلى مسافة ٩٥ كم جنوب تيماء. و "العلا" اسم حديث لواحة تاريخية لعبت دورًا هامًا عندما كانت مقرا لدولة الدادانيين، أحد الممالك العربية الشمالية بالجزيرة العربية، والمعينيين. وكان ما يسمى اليوم بالخريبة حاضرة مملكة دادان والتى تلتها دولة لحيان، ثم جاء بعدها الحكم المعينى الذى انتهى باستيلاء الانباط خلال الفترة من القرن السادس ونهاية القرن الثالث قبل الميلاد.[٤٦]

وقد زار المكان العديد من المستشرقين وعلماء النقوش والآثار الأوربيين من بينهم موسل (١٩١٠م) وريكمانز (١٩٦٧)، ومعهد الآثار بجامعة لندن عام ١٩٦٨ وبعثة جامعة تورنتو الأثرية (١٩٦٩).[٤٧]

ويوجد بالموقع العديد من الأضرحة الصخرية المنحوتة نحتًا هندسيا بارعًا مع عدد من النقوش الدادانية والمعينية واللحيانية والثمودية والنبطية، وبقايا سد كان طوله حوالى ٧٥٠ مترًا بالاضافة إلى آثار اسلامية بالمكان.[٤٨] ولعل من بين أهم أثار الموقع أيضا ما يسميه أهل المكان بحوض

الناقه "محلب الناقة" وهو عبارة عن خزان صخرى أسطوانى الشكل يبلغ قطره أربعة أمتار وبعمق إثنين ونصف من الأمتار. وربط البعض بينه وبين "ناقة" نبى ا لله صالح عليه السلام. (٤٩)

وقد أوضح "بار" وجود تشابه بين بعض الملتقطات السطحية من الفخار جمعت من "ديدان" (العلا) مع مثيلاتها من المواقع الأدوميه في جنوب الأردن ربما من القرن السابع أو السادس ق.م مما يرجح معه وجود صلات وأصول مشتركة بينهما. (٥٠) ومن اللافت للنظر أيضا ما أشار إليه "بار" من عدم وجود أوانى فخاريه نبطية أو هيلنستية متأخرة أو رومانية بالمكان مما يرجح معه أنه برغم استمرار العلا كمنطقة سكنية إلى فتةه متأخرة فان العلا (ديدان) سرعان ما لحق بها الانهيار مع ظهور المنطقة الحضارية المجاورة لها في الحجر (مدائن صالح). (٥١)

كما عثر بالمكان أيضًا عام ١٩٠٩ على يد "جوسين وسافيناك" على بقايا لتماثيل بشرية منحوتة جيدا من الحجر ربط بينها وبين معبد لحيانى بالمكان. كا عثر على أربع قواعد لتماثيل ثلاثة منها كانت في أماكنها الأصلية أو قريبة جدًا منها، وتؤرخ وفقًا لما يراه "بار" (P.J. Parr) في الفترة ما بين القرنين الثالث والأول ق.م، وتعكس تشابها في أوضاعها مع ما نعرفه عن التماثيل المصرية آنذاك. (٥٢)

وقد اعتمد المكان في اقتصادياته على الزراعة والتجارة. ويلاحظ وفرة المياه الباطنية في واحة العلا وخصوبة أراضيها. كما استفاد تجاريا من موقعه على طريق القوافل التجارى الرئيسى القديم ما بين معين جنوبا وبلاد الشام والهلال الخصيب شمالاً. (٥٣)

ونعلم عن وجود ميناء تجارى لها والمعروف باسم ميناء الوجه كان صلة الربط التجارى البحرى لها مع مصر البطلمية ربما تفاديًا للمرور برًا عبر النفوذ النبطى إلى الشمال منها، وتحاشيا للنزاع معها ومع السلاجقة. (انظر خريطة ٢١).

يعتبر موقع **مدائن صالح (الحِجر)** (هجرا اليونانية) في المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية من بين أهم الأماكن الاثرية بالمكان ويرتبط تاريخيًا بأحداث هامة في تاريخ المملكة العربية السعودية القديم. وتقع مدائن صالح على مسافة كيلو متر شمال العلا الحالية، وعلى مبعدة ٣٩٤ كيلو متر من المدينة المنورة و١١٠ كيلو مترات جنوب غربى تيماء وعلى طريق "البخور" التجارى البرى ما بين بلاد الشام واليمن. وقد تضمن نقش على الأقل من النقوش النبطية المدونة على واجهات المقابر بالمكان إسم المدينة بشكل "حجرا" القريب من الاسم العربى "الحجر" في مقبرة رقوش. (٥٤) كما ورد ذكر للمدينة في جغرافية بطليموس. ويرجح البعض أن تكون الحجر هى نفسها "Egra" التى وردت في تقرير سترابو عن حملة ايليوس جاليوس الرومانى ضد اليمن عام ٢٤ ق.م (٥٥)

ويشير "بلينى" في التاريخ الطبيعى الى أن عاصمة اللحيانيين كانت "حجرا" (هجرا Hagra) ومركزهم الرئيسى تمحور على مبعدة ٣٤ كم إلى الجنوب من الحجر. وقد عرفت هجرا (الحجر) أيضا عند الأنباط باسم (الحجر). (٥٦)

وتشير المصادر العربية إلى الحجر باعتبارها ديار ثمود ناحية الشام عند وادى القرى، وأنهم قوم سيدنا صالح عليه السلام. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم على أنهم "الذين جابوا الصخر بالواد" وايضا في سورة الحجر

(الآيات ٨٠ – ٨٣) حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين، وآتيناهم أياتنا فكانوا عنها معرضين، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين، فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾. (٥٧)

وورد ذكر الموقع باسم مدائن صالح لأول مرة في كتابات "دوتى" عام ١٨٧٦م وتلاه العديد من المستشرقين من بعد. أما أول من اسماها "مدائن صالح" من المؤرخين كان "البلوى الأندلسى" الذى زارها عام ٧٣٧ هـ في طريقه إلى مكة. وقد زار المكان الرحالة الفرنسى تشارلز هوبر عام ١٨٨٠م وتحدث عنها باسهاب في كتابه رحلة إلى بلاد العرب، الذى نشر في باريس عام ١٨٩١م. كما زارها في مطلع القرن العشرين الباحثان الاثريان الفرنسيان "جوسين وسافيناك" Jaussen, Savignac لحساب الأكاديمية الفرنسية لجمع النقوش ونشرا ماجمعاه في كتابهما الضخم بعنوان Mission Archelogique en Arabie عام ١٩٠٩ في باريس. كما زار المنطقة كذلك عبدا لله فلبى وتحدث عنها في كتابه The Land of Median الذى نشر في لندن عام ١٩٥٩م. (٥٨)

وتبدو الدلائل الاثرية المبكرّة بالمكان الدالة على الاستقرار السكانى محدودة وقليلة رغم وجود نصوص يرجّح تأريخها من بدء القرن الأول الميلادى إلى ٧٥م وان كان ذلك لا ينفى احتمالية تواجد بشرى قبل ذلك بالمكان. وتعددت الملامح الدالة على إحتمالية إستقرار معيني – لحيانى كما يذهب إلى ذلك "وينت" (F.V. Winnett) سابقاً على الازدهار النبطى بالمكان. (٥٩)

ويبدو أن المكان قد استفاد من موقعه تجاريا، واستخدم أهل المكان الميناء الملاحى في المكان المعروف حاليا باسم " الوجه"، والذى استخدم

كنقطة البدء للعبور الملاحى لأنباط مدائن صالح عبر البحر الأحمر إلى مصر قرب ميناء القصير الحالى، ثم من بعد يجتازون صحراءها الشرقية (عبر وادى الحمامات) إلى داخل وادى النيل للتجارة مع أهله . (٦٠) (انظر خريطة ٢١).

وتعددت الآثار بالموقع حيث تشتمل المنطقة على عدة كهوف ومقابر منحوتة في الجبال الرملية المتقاربة شبيهة في تصميمها العام مع مقابر بترا (البتراء) عاصمة الحضارة النبطية بجنوب الأردن حاليا. ويوجد على واجهات تلك المقابر تماثيل وصور ورءوس خرافية وثنية يعود نحتها إلى القرن الثانى قبل الميلاد يجدر ملاحظة رسم "النسر" من بينها على واجهات تلك المقابر فوق المدخل أحيانا وعلى جانبيه أحيانا أخرى. كما يلاحظ فوق مداخل بعض المقابر بقايا مهشمة برءوس انسانية على كل من جانبيها رسم حيّه. (٦١) (انظر شكل ٥٧). وقد عكست تلك المقابر مزيجا من التفاعل الحضارى لأهل المكان مع الحضارات المجاورة خاصة ما يعكسه شكل الكورنيش المصرى، وبعض ملامح الفن الاخمينى والإفريز الدورى من العمارة الاغريقية. (٦٢)

ويمثل موقع تيماء بالمثل أهمية خاصة ضمن اطار أهم المواقع الأثرية في المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية. وتقع تيماء في واحة تعرف باسمها على مبعدة ١٠٤ كيلو متر إلى الشمال من العلا وعلى مبعدة ٤٧٤ كيلو متر من المدينة المنورة وعلى الطريق التجارى ما بين بلاد الشام واليمن، على الساحل الشرقى من البحر الأحمر من جهه وإرتباطها كذلك بطريق مأرب – جرها المؤدى إلى الخليج العربى. (٦٣)

وتعددت الاشارات الى الموقع في المصادر النصية تعود أقدمها إلى ما ورد في نقوش تجيلات بليسر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) التى يفهم منها

إجباره لأهل المكان وسبع مدن وقبائل أخرى على دفع الاتاوه له من الجمال والعطور والمعادن الثمينه، وضمن نصوص سرجون الثانى (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) التى تتضمن أعماله الحربية ضد شمال الجزيرة العربية، ونقش آشور بانيبال (٦٦٩ – ٦٢٧ ق.م) وبالمثل ضمن نقوش الملك نبونيد (٥٥٥ – ٥٣٩ ق.م) التى أوردت ما قام به هذا الملك الكلدانى من قتل وتدمير للمكان وذبح لماشيته، ثم قيامه من بعد بعملية تجميل للمدينة وبنائه لقصر ملكى له على غرار القصر الملكى في بابل وتحصينه للموقع وتسويره وقد أشارت نصوص "نابونيد" بالمكان إلى أنه "لقد أخبأت نفسى بعيدًا عن مدينتى يابليون، وذهبت إلى تيماء وإلى جنوبها دادنو (دادان) وباداكو (فدك) وخيبرو (خيبو) عشر سنوات قعدت (بالمكان) ثم إلى مدينتى بابليون رجعت". [٦٤] وقد جادل البعض في تفسير تشييد مثل هذا القصر الملكى لاقامة الملك كانعكاس للضغط الاخمينى المتزايد ضد المملكة الكلدانية – وخوف الملك من سقوط المقر الملكى بالعاصمة بابل في يدهم مما جعله يتخذ موقعا للقيادة بعيد نسبيا عن أيدى الأعداء، أو كنتيجة للصراع والتنافس الداخلى بين الملك وقوى الكهنوت مما اضطر معه للهروب بعيدًا إلى تيماء وبدء إعدادها لتكون مقر الحكم الملكى آنذاك.

كما وردت إشارات إلى تيماء ضمن النصوص الآرامية المدونة على المسله المشهوره اصطلاحًا بمسلة تيماء والمكتشفة عام ١٨٧٩ ، والمحفوظة حاليا بمتحف اللوفر وعلى آثار أخرى. كما ورد بالمثل اسم "تيماء" ضمن نصوص نبطية عثر عليها في مدائن صالح (الحجر). [٦٥] كماظهر اسم تيماء في كتابات العهد القديم، باعتبارها جزءًا من مملكة ادوم في القرن السادس ق.م .

كما تعددت الإشارات إلى موقع تيماء في كتابات الرحالة العرب والأجانب حيث ورد لها وصف في كتابات "الاصطخرى" عام ٩٥١م باعتبارها أكثر المستوطنات الشمالية تحصنا، وكثافة سكانية ووفرة في بساتينها الشاسعة للنخيل. وجاء وصف مشابه لذلك في كتابات المقدسى. وظلت لتيماء أهميتها خلال العصر الاسلامى باعتبارها مصدر هام للتزود بالمياه على طريق الحج السورى الى مكة. ووردت اشارات إلى تيماء في كتابات الأثرى السويدى والن (١٨٤٥ – ١٨٤٨) وتلاه الايطالى "كارلو جرمانى) C. Guarmani عام ١٨٦٤ والانجليزى تشارلز دوتى عام ١٨٧٧ والذى لفت الانظار إلى المسلة السالف الاشارة اليها، ومن بعده "هوبر" الذى ينسب له الفضل في نقل تلك المسلة بالاشتراك مع دوتى إلى متحف اللوفر. كما قام جوسين وسافيناك Jaussen - Savignac بتدوين النقوش بالمكان بصفة خاصه الخبو الشرقى والخبو الجنوبى. كما ينسب إلى عبدا لله "فلبى" الفضل في الكشف عن معبد قديم على قمة جبل غنيم بالمكان. وقد حفظت بعض النقوش بالمكان عبادة الاله "صلم" الوثنى به. وأخيرًا قام ونيت وريد Winnett - Reed بدراسة علمية عن أهم الآثار الباقية بالمكان حديثا. [٦٦]

ويحيط بالمدينة سور ضخم يبلغ طوله اثنى عشر كيلو مترا وفقًا لأحدث قياس ميدانى تم عام ١٩٩٠، ويبلغ عرضه في معظم أجزائه ما لا يقل عن متر ونصف المتر، ويرتفع أحيانًا إلى عشر أمتار تقريبا، وتم الكشف عن بعض البوّابات عبره. [٦٧] وتعود معظم الآثار المكتشفة بالمكان إلى منتصف الألف الأول ق.م وما يليه وفى إرتباط بصفه أساسية بفترة اقامة الملك الكلدانى "نبونيد". ومن بين أهم تلك المنشآت المعمارية بالمكان: قصر الحمراء، قصر الرضم، قصر الأبلق . كما عثر على بعض النقوش الصخرية بالمنطقة المحيطة بها أسوار المدينة. إضافة إلى ذلك عثر على العديد من

البقايا الأثرية المرتبطة بقنوات الرى المعقدة مما يوحى بنظام زراعى قديم بالمكان. (٦٨)

إضافة إلى ذلك فقد تخلف عن المكان العديد من الشواهد الدالة على وجود مصرى مميّز بالمكان وعن علاقة خاصة لمصر آنذاك بالقائمين على الحكم في تيماء (نبونيد)، ودعم ذلك ما نعرفه عن مصادر نصية عكست نوعًا من التصالح السياسى بين أمازيس حاكم مصر في العصر الصاوى وبين نبو نيد ودعمته العديد من الشواهد الأثرية التى تعكس تأثيرات حضارية مصرية على المكان تمثلت في مشاهد تصوير زهرة اللوتس، أسماء الاعلام المركبه من اسماء آلهه مصرية خاصة أوزير، ومناظر تصوير الثور والقرنين وبينهما قرص الشمس أو القرص المجنح على بعض الآثار بالمكان. (٦٩)

ولقد ظلت الدلائل الأثرية تقدم لنا العديد من المواقع المرتبطة تاريخيا بفترة الصراع العسكرى الآشورى والكلدانى من مناطق شمال غرب الجزيرة العربية (السعودية) وفي إرتباط ذى صبغة اقتصادية في العام الأول بصفة أساسية. ويمثل **موقع دومة الجندل** مثالاً آخر لنا على ذلك خلال حضارة الألف الأول ق.م (انظر خريطة ٢٢).

وتسمى **دومة الجندل** الآن بالجوف لوقوعها في مكان منخفض عند نهاية وادى السرحان الذى يبتدئ من حوران بالشام وينتهى بالنفود الكبير. وفي شمال وجنوب الجزيرة العربية أماكن كثيرة تسمى بالجوف، إلا أن الجغرافيين يميزون جوف دومة الجندل باسم "جوف ابن عمرو". وكان يطلق علي المكان في نصوص التوراه "دومة" وفي النصوص الآشورية "أدوماتو" وفي جغرافية بطليموس Doumatha أو Adomatho وفي المصادر العربية في

شكل دومة الجندل نسبة إلى دوم (أو دومان أو دما أو دوماء) بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام. (٧٠)

وتعكس البقايا الأثرية المبكرة بالمكان وجود دلائل على إستقرار بشرى به من العصر الباليوليثى خصوصًا في سكاكا وشويحطيه وكما سلف القول، وبعض البقايا القليلة لآثار النيوليثى خاصة من وادى عرعر. وربما يعود ندرة تلك الآثار بالمكان إلى تغيرّات بيئية أضطر معها أهل المكان إلى هجرة بحثا عن موطن إعاشة جديد. وتمثلت كذلك بالموقع النمط المعمارى المعروف اصطلاحًا باسم الدوائر الحجريه المرجح من العصر الخالكوليثى وكما سبق أن تناولناه في تشابه مع مثيله من جنوب فلسطين وشبه جزيرة سيناء من حوالى ٤٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق.م وذلك خلال أعمال المسح الآثارى لادارة الآثار والمتاحف بالمكان عامى ١٩٧٦ – ١٩٧٧ حيث بلغ مجموع ما عثر عليه خمسون في مساحة ١٥٠٠ × ١٠٠م. (٧١)

وخلال الألف الأول ق.م تعددت الاشارات في المصادر النصية من الحضاره الآشورية في صراعها ضد أهل المكان والمناطق المجاورة مثلما تعكسه لنا نصوص حملة تجيلات بليسر (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) والذى أشار فيها إلى أن الملكه زبيبة (زبيبى) ملكة بلاد العرب قد أرسلت اليه بجرية. وقد رجح موسل ان تكون زبيبة ملكة على واحة الجندل (أدومو). كما أشارت نصوص نفس الملك إلى تلقيه لجزية من "سمسى Samsi " الملكة التى خالفت القسم بالاله شمس" مكونة من فضة وذهب وجمال وكل أنواع الأعشاب. ويشير النص الآشورى إلى ما يلى: "أما شمس ملكة بلاد العرب.. فقد قتلت ١١٠٠ من السكان، واستوليت على ٣٠٠٠٠ جمل، ٢٠٠٠٠ من الماشية، ٥٠٠٠ إناء توابل وكل ممتلكاتها، وأخذت منها هذه وغيرها، وأما هى فقد هربت إلى مدينة "بازو" وهو إقليم ليس به ماء .. ثم أدركت مدى قوة جيشى،

فجاءت لى بالجمال والنياق ... ووضعت عليها حاكمًا" [٧٢] ويبدو أن الغرض السياسى وراء هاتين الحملتين هو تأكيد النفوذ الآشورى على المكان ولتأمين خطوط التجارة. كما وردت إشارة بالمثل إلى تيماء ضمن نصوص حملات الملك "سرجون الثانى" (٧٢٤ – ٧٠٥ ق.م) حينما اضطر لمجابهة حركة التمرد من القبائل العربية التى رفضت دفع الجزية مع وفاة تجيلات بليسر. وقد سجل سرجون الثانى في قوائمه التاريخية أن "قبائل ثمود وعرب على مسافات بعيدة، الذين سكنوا الصحراء، الذين لا يعرفون موظفين أعلى أو أدنى، والذين لم يحضروا الجزية إلى أى ملك، أنا قمعتهم، والبقية الباقية منهم رحلتهم وأسكنتهم في سامريا". [٧٣] ومن اللافت للنظر هنا تطبيق سرجون الثانى لسياسة "التغيير الديموجرافى" وترحيل سكان مكان ما إلى آخر وإحلال آخرين محلهم من أجل تغيير البنية السكانية للمكان وبالتالى يسهل عليه إحكام سيطرته على المكان مثلما طبقوا نفس السياسة بالنسبة لسكان فلسطين في مرحلة ما بعد حكم سليمان عليه السلام. ولعل هذا يذكرنا كذلك بما سبق أن أوضحناه بالنسبه لصراع ممالك جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) من تطبيق بعض حكامها لنفس سياسة التهجير والترحيل للبشر من مكان إلى آخر. وفي نفس السياق يجب التذكير كذلك بما سبق أن لفتنا النظر إليه بالنسبة لسياسة فرعون مصر أمنحتب الرابع (اخناتون) من الأسرة الثامنة عشر / العصر البرونزى الحديث من تطبيق لنفس السياسة فيما يتعلق بممتلكات مصر النوبية – الآسيوية. كما تعكس نصوص قوائم نفس الملك إلى تسلمه لجزى من "برعو" ملك مصر، سمسى ملكة العربية، ملك الساحل والصحراء ، مكونة من الذهب منتجات الجبال، الأحجار الكريمة، العاج، الأعشاب، الخيول، والجمال". [٧٤]

كما حفظت نصوص حملات لسانخريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) قيامه بتدمير قلعة دومة الجندل، وكذلك أشارت إلى حملات أوسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م) وآشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م). كما شن الملك البابلى (الكلدانى) نبونيد حملة ضد المكان تم خلالها إحتلاله للمكان. [٧٥]

وظل للمكان أهميته خلال الحضارة النبطية (القرن الأول ق.م) – القرن الثانى بعد الميلاد إستنادًا إلى ما عثر عليه "ونيت" رئيس بعثة جامعة تورنتو الكندية من نقوش نبطية بالمكان: الجوف وسكاكا وجبل الجيزان، وبتشابه بقايا المعبد النبطى بالمكان مع مثيل له تم العثور عليه في خربة التنور في الأردن . وظلت للمكان مكانته خلال النفوذ الرومانى – البيزنطى في شمال الجزيرة العربية. [٧٦]

وهناك في المصادر العربية ما يشير إلى أن سكان دومة الجندل كانوا أصحاب نخل وزرع يسقون على النواضح، ويزرعون الشعير. وكان لهم في بلدهم سوق يبدأ في أول يوم من شهر ربيع الأول وينتهى في النصف منه. [٧٧]

ولعل أهم معبودات أهل دومة الجندل كان الآله "ود" الذى يذهب الاخباريون إلى أن "عمرا بن لحى" هو الذى يرجع اليه فضل نشر عبادته بالمكان: في تهامة ووادى القرى وفي دومة الجندل. [٧٨]

ولعل من الأهمية الاشارة إلى أحد تلك المواقع التى تمثل أهمية خاصة في التاريخ القديم للمملكة العربية السعودية وتعكس صلات ربط حضارى من أواخر الألف الأول ق.م للمكان مع المراكز الحضارية المجاورة وعكست آثاره تشابهًا أو أصولا مبكرة أحيانًا للملامح المبكرة للحضارة العربية من فترة تالية ألا وهو موقع قرية "الفاو" عاصمة تلك المملكة العربية الشهيرة باسم مملكة كنده.

وتقع قرية "الفاو" إلى الجنوب الغربى من الرياض بحوالى ٧٠٠ كم وحوالى ٢٨٠ كم إلى الشمال من نجران في المنطقة التى يتداخل فيها وادى الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى بالفاو. وتشرف "قرية الفاو" على الحافه الشمالية الغربية وشمالها الشرقى حيث كانت تبدأ القوافل من الممالك اليمنيه بالاتجاه إلى نجران ومنها إلى قرية الفاو ومن ثم باتجاه شمال شرق إلى الخليج العربى عند الجرعاء ثم شمالاً إلى جنوب بلاد الرافدين. (انظر خريطة ١٩).

وقد وردت أقدم الاشارات إلى المكان باسم "قرية ذات كهل" (كهل = اله القمر) في النقوش العربية الجنوبية بارتباط مع مملكة كنده. وقد وردت كنده باسم "كدت" أو كدّه بتشديد الدال (نقش جام ٦٣٥) ويؤرخ هذا النص من الفتره ٦٥ – ٥٠ ق.م أو من أواخر القرن الثانى ق.م في تفسير آخر. وأشارت كذلك نصوص ملوك "سبأوذ ريدان ومن بينهم "شعر أوتر" إلى نشاط عسكرى لهم ضد السكان في الفترة ما بين القرن الأول إلى الخامس الميلادى .[٧٩]

وقد دعمت الحفائر التى أجريت في المكان باشراف د. عبدالرحمن الأنصارى إمكانية تأريخ الموقع على الأقل منذ القرن الثانى ق.م. وكان "تونوسوس" اقدم من تحدث عن كنده من الأغاريق والرومان وقد دعاها "Kindynoi" موضحا شهرتها بالاضافة إلى قبيلة معد بين القبائل العربية وأن حاكمها على ايامه كان يدعى "قيس". ووردت في المصادر الاسلامية باسم "قرية" في معجم البكرى، وكتاب الهمدانى "صفة جزيرة العرب". ولعّل قلة ما ورد اليها من إشارات في المصادر الإسلامية يشير إلى إنتهاء دورها كمركز تجارى آنذاك.[٨٠]

وتعددت الاشارات إلي موقع "الفاو" في القرن الحالى ضمن تقارير موظفى شركة أرمكو للبترول في الأربعينات من هذا القرن. كما قام فلبى

وريكمانز وهوليبتز برنار للموقع عام ١٩٥٢ وكذلك ألبرت جام عام ١٩٦٩ بغرض دراسة النقوش على سفح جبل طويق. ولفت الموقع نظر جامعة الرياض فبدأت بالاهتمام به ممثلة في جمعية التاريخ والآثار التى انشئت في قسم التاريخ عام ١٩٦٧ ومن ثم من خلال قسم الآثار والمتاحف بنفس الجامعة بأعمال مسح أثرى تمهيدى ثم أعمال التنقيب الفعلية باشراف د.عبدالرحمن الأنصارى.[٨١]

ولعبت التجاره دورًا كبيرًا في حياة سكان قرية الفاو حيث تاجروا بالحبوب والطيور والنسيج والأحجار الكريمة والمعادن من ذهب وفضة ونحاس وحديد ورصاص بما كان له عائد اقتصادى ضخم انعكس على ثراء السكان وأهله وفيما تركوه وراءهم من انشاءات معمارية ضخمة ومتعددة الأغراض: مساكن، معابد، مقابر بالاضافة إلى العديد من مناحى حياتهم اليومية[٨٢]. (انظر شكل ٥٨) وقد ارتبط بالتجاره قيام أهل المكان بسك عملة بهم ضربوا عليها إسم إلههم "كهل" وبما كشف عنه بالمكان من مكاييل وموازين وأختام وصنج. وقد ارتبط بالتجارة كذلك إهتمام حضارة الفاو بالحصون والمنشآت العسكرية بغرض تأمين حياتهم ومورد اقتصادياتهم مستفيدين في ذلك من المظاهر الجغرافية المحيطة بهم حيث جبل طويق الى الشرق منهم مثّل حاجزًا دفاعيا طبيعيا وبالمثل في الغرب منهم. وقاموا بتشييد بوابات الى الشمال والجنوب من الموقع وأسوار للحماية ضد هجمات الأعداء.[٨٣]

كما إهتم سكان "قرية الفاو" بالزراعة إهتماما واضحا حيث حفروا الآبار الواسعة، وشقوا القنوات السطحية وزرعوا النخيل والكروم وبعض أنواع اللبان والحبوب. وقد توافر بالمكان مصادر عديدة للمياه تمثلت في وجود حوالى سبعة عشر بئرًا إضافة إلى مياه السهول التى كانت تملأ أحيانا الوادى

بالمياه. وقد برع أهل المكان كذلك في حفر القنوات الجوفية للحصول على مزيد من الموارد المائية.

كما اهتم أهل المكان بالثروة الحيوانية: جمال، ماعز، أبقار وضأن. كما سجلت لوحات السوق ولوحات سفوح الجبال والتماثيل البرونزية إهتمامهم بصيد الإبل والغزلان والوعول على حافة الربع الخالى. وقد استخدموا عظام الابل والأبقار كمادة للوقود، وكصحائف للكتابة.

وتعددت البقايا الأثرية بالمكان لتعكس حضارة متقدمة لأهله في فنون العمارة، الكتابات، الرسوم، الفن، التماثيل الحيوانية والبشرية وفي المنسوجات والمسكوكات والحلى والزجاج والأوانى والأدوات الفخارية. (انظر شكل ٥٩ – ٦٤) واستعمل سكان قرية الفاو في بناء مدينتهم اللبن المربع والمستطيل واستعملوا كذلك الحجر المنقور والمصقول في الأسس وبناء المقابر. واستخدموا الجبس بعد خلطه ببعض المواد كالرمل والرماد وغيره في تبليط المبانى من الداخل. وزينوا منازلهم في الداخل بالكتابة والرسوم (الجداريه)وبألوان متعددة: الأحمر والأسود والأصفر (انظر شكل ٦٥). ولعل مثل هذه الرسوم الجدارية تذكرنا بما سبق للبعثه الأثرية اليمنية – السوفيتية المشتركة أن عثرت على مثيل له في حضارة حضرموت مما يرجح معه معرفة أهل الجزيرة العربية لذلك اللون من الفنون وسابقًا على ما نعرفه من فنون العصر البيزنطى خاصة ما هو معروف عن الرسوم واللوحات في القصور الأموية في بادية الشام في مرحله تالية.[٨٤]

وكان سوق المدينة محاطا بثلاثة أسوار متلاصقة وفي ساحته تصطف الدكاكين على الناحية الشمالية والجنوبية منه وقد تعددت مراحل بنائه. وعثر على بقايا قصور ملكية ومعابد بالمكان. ويعتبر معبد قرية الفاو أول معبد

يكشف عنه داخل حدود المملكة العربية السعودية وعثر بداخله على العديد من التماثيل التى أعطت لنا بعدًا هاما في مجال التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المكان والمراكز الحضارية المجاورة خاصة مع مصر في عصرها البطلمى.[٨٦] وقد تمثل ذلك في التمثال البرونزى الذى يطلق عليه إصطلاحًا "التمثال الخاشع" الذى يتشابه في أوضاع يديه وفي إستقامة الصدر وتقاطيعه المتازة شبها مع أوضاع التماثيل المصرية مثلما نعرف على سبيل المثال للملكة الشهيرة حاتشبسوت تقدم فازه الحكنو، ضمن مجموعة متحف المتروبوليتان – نيويورك) (انظر شكل ٥٩). وبالمثل في ذلك التمثال البرونزى الرائع لطفل عار مجنح على رأسه تاج مزدوج وممسكا بيده اليسرى بقرن الوفرة Cornucopia الذى يبرز منه عنقود من العنب ومقربًا سبابة يده اليمنى من فمه بينما يتدلى شعره على جانبى رأسه في تشابه واضح مع تمثال "حورس الطفل" المصرى.[٨٥] (شكل ٦٠)

كما عثر كذلك على مقابر بالمكان تتنوع أشكالها، ومن فترات زمنية متعددة وكذلك بالنسبة لمن دفن بها من طبقات اجتماعية متعددة.[٨٨]

وتعتبر المسكوكات في قرية الفاو من أهم الاكتشافات،وتكمن أهميتها في أنها ضربت بالمكان، وان معظم ما عثر عليه كان من معدن الفضة. كما عثر بالمكان على مجموعه مميزه من الأوانى الزجاجية وعلى العديد من الأدوات الحجرية والفخارية التى تعكس ملامحها أنماط الفخار المحلى للجزيرة العربية. وان لم يمنع هذا من العثور على أنماط مقلده لأشكال فخاريه أجنبية الأصل (هيلينية) خاصة النمط المعروف باسم زمزمية الحاج Pilgrim flask.

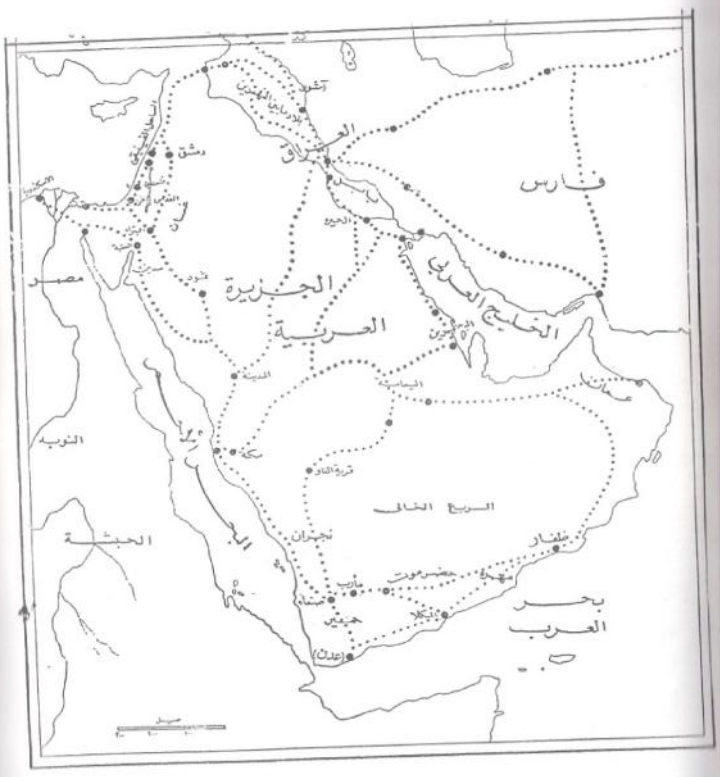

خريطة (١٩)

المواقع الهامة وخطوط التجارة البرية في المملكة العربية السعودية

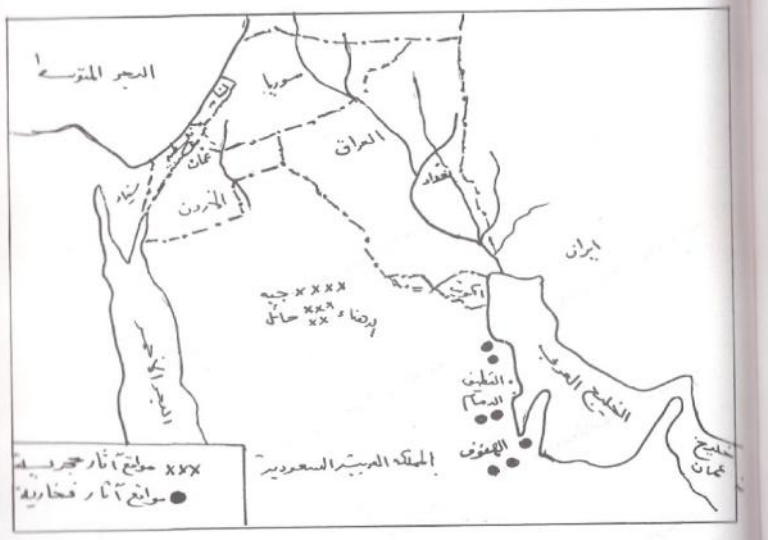

خريطة (٢٠)

مواقع المستوطنات من العصر الحجرى في شرق السعودية وشمالها

(نقلاً عن عبدالله المسرى، ما قبل التاريخ في شرق السعودية وشمالها، ص ٨٠، خارطة ٣)